البعث
الأسبوعية
الأربعاء ٢١ تشرين الأول ٢٠٢٠ العدد ١٠
مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر
٣٢ صفحة

التعويض لـ ١٨٧٠٠ متضرر في ٢٥٢ قرية



مرسوم بإعفائهم من فوائد وغرامات القـروض الزراعية

إقرار خطة تعويض المتضررين من حرائق اللاذقية وطـرطوس وحمص والغاب



أصدر السيد الرئيس بشار الأسد المرسوم التشريعي رقم (٢٣) لعام ٢٠٢٠ القاضي بإعفاء القروض الممنوحة سابقاً من المصرف الزراعي التعاوني للمتضررين نتيجة الحرائق التي اندلعت مؤخراً في محافظات اللاذقية وطرطوس وحمص وحماة من كافة الفوائد العقدية وفوائد وغرامات التأخير المترتبة عليها مرصودة بتاريخ نفاذ هذا المرسوم.

وتنفيذاً لتوجيهات الرئيس الأسد باتخاذ إجراءات سريعة لتخفيف المعاناة عن الأهالي المتضررين من الحرائق، أقر مجلس الوزراء في جلسته الأسبوعية أمس الثلاثاء برئاسة المهندس حسين عرنوس رئيس المجلس خطة متكاملة لتعويض المتضررين وتمكينهم من إعادة زراعة أراضيهم واستثمارها من جديد وتثبيتهم فيها.

وتتضمن الخطة تقديم دعم مادي مباشر للفلاحين عن كامل قيمة الموسم المتضرر نتيجة الحرائق على أن يتم منحهم ٥٠ بالمئة من القيمة خلال العام الحالي و٢٥ بالمئة في كل من العامين القادمين.

وشملت الخطة دراسة مشروع صك تشريعي يتضمن منح الفلاحين المتضررين من الحرائق قروضاً معفاة من الفوائد على أن تتم جدولة الديون السابقة وإعفاؤهم من فوائد وغرامات التأخير.

وقرر المجلس ترميم المنازل المتضررة وتقديم دعم للفلاحين تعويضاً عن الأبقار النافقة جراء الحرائق يتضمن إعفاءهم من نصف قيمتها ومنحهم قروضاً دون فوائد وبأقساط ميسرة لتسديد باقي القيمة وتخصيص ٥٩ آلية هندسية ثقيلة لإعادة تأهيل الأراضي لوضعها في الاستثمار من جديد.

كما قرر مجلس الوزراء توزيع الغراس والنباتات العطرية على المتضررين مجاناً وإدراج الأسر التي تضررت مواسمها في بيانات العمل الإغاثي وتشميل قرية بلوران في محافظة اللاذقية بالمشروع الوطني للتحول إلى الري الحديث لإعادة ترميم شبكات الري بحيث يتحمل صندوق التحول إلى الري الحديث نحو ٦٠ بالمئة من قيمة تلك الشبكات.

وأكد المهندس عرنوس أن الحكومة مستمرة بدعم مادة المازوت المخصصة للتدفئة والنقل والزراعة وإنتاج الخبز مع الاستمرار بتغذية المعامل والمدن الصناعية بالتيار الكهربائي على مدار الساعة مبيناً أنه تم اتخاذ الإجراءات اللازمة لتوفير مادة القمح وضرورة إدراج ترميم الصوامع والمطاحن في أولويات العمل للعام القادم.

واعتمد المجلس الصيغة النهائية لمشروع قانون الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ٢٠٢١ البالغة ٨٥٠٠ مليار ليرة سورية.

وفي هذا السياق شدد رئيس مجلس الوزراء على ضرورة ضبط الإنفاق وتوجيه اعتمادات الدعم الاجتماعي لمستحقيها بالشكل الأمثل ووضع تصورات لتلافي أي خلل في تأمين حاجة المواطنين من جميع المواد وضرورة تطوير الصناعات التصديرية.

وطلب المجلس من وزارتي الزراعة والنفط توفير مادة المازوت لزراعة المواسم الشتوية وضمان وصولها إلى الفلاحين وفق آلية ملائمة ودراسة إمكانية تأمين قسم من إنتاج مصفاة حمص من الفحم البترولي لتغطية حاجة المداجن منها بما يسهم في دعم قطاع الدواجن.

قطنا: ١٨٧٠٠ متضرر في ٢٥٢ قرية

وأوضح وزير الزراعة والإصلاح الزراعي المهندس محمد حسان قطنا في تصريح للصحفيين عقب الجلسة أن المجلس خصص المبالغ المالية للفلاحين المتضررين جراء الحرائق مؤخراً للتعويض عن الإنتاج المفقود وفق تقديرات الإنتاج ونتائج المسح التي تمت بعد حدوث الحرائق.

وبين أنه سيتم تعويض الفلاحين بالغراس المثمرة اللازمة لإعادة تشجير الأراضي المتضررة والتنسيق مع الوزارات المعنية لتخصيص الآليات والتركسات لإزالة الأشجار الميتة حيث تم تعديل معدلات الاحتياج بما يتناسب مع التكاليف الحالية موضحاً أنه سيتم دعم الفلاحين أيضاً في مشاريعهم الصغيرة والمتوسطة.

وكشف الوزير قطنا أن عدد القرى التي تعرضت للحرائق يصل إلى ٢٥٢ قرية وعدد المتضررين ١٨٧٠٠ والمساحات المتضررة ٨٩٠٠ هكتار والأشجار المتضررة مليونا شجرة تشكل ٦ بالمئة من مجموع الأشجار بالمحافظات المتضررة، داعياً الفلاحين للعناية بالأشجار المتضررة من خلال سقايتها وإضافة السماد إلى تربتها حتى يمكن تقليمها وإعادة تأهيلها.

ياغي: مناقشة مشروع موازنة ٢٠٢١

من جهته أوضح وزير المالية الدكتور كنان ياغي أن المجلس ناقش مشروع قانون البيان الحكومي المتضمن قانون الموازنة العامة للسنة المالية لعام ٢٠٢١ وتحديد اعتمادات وإيرادات الموازنة.

وبين الوزير ياغي أن القانون المذكور ينظم إصدار الموازنات العامة للجهات ذات الطابع الاقتصادي وإدارة السلف الممنوحة من الخزينة العامة وآلية إجراء المناقلات بين الاعتمادات المحددة في الموازنة أو الإضافة على هذه الاعتمادات من الاحتياطيات في الموازنة ويحدد حجم الدعم الاجتماعي وإجمالي النفقات العامة بنحو ٨٥٠٠ مليار ليرة منها ٧٠٠٠ مليار ليرة لبند الرواتب والنفقات والأجور والتعويضات على القطاع الإداري والدعم الاجتماعي والدعم المقدم للدقيق التمويني والمشتقات النفطية وصندوق المعونة الاجتماعية وتقدير الايرادات الحكومية بنحو ٦ آلاف مليار موزعة إلى نحو ٣٥٠٠ مليار إيرادات جارية و٢٥٠٠ مليار إيرادات استثمارية.

ولفت إلى أن إجمالي الدعم الحكومي المحدد بالموازنة العامة للدولة يبلغ ٣٥٠٠ مليار ليرة منها ٥٠ ملياراً لصندوق المعونة الاجتماعية و٥٠ مليارا لدعم الصندوق الزراعي و٧٠٠ مليار لدعم الدقيق التمويني و٢٧٠٠ مليار ليرة لدعم المشتقات النفطية، موضحاً أنه تمت إضافة فقرة في الموازنة العامة للدولة للدعم المقدم كدعم اجتماعي وهي دعم الأسمدة الزراعية للفلاحين.

قرفول: قروض معفاة من الفوائد

من جانبه بين حاكم مصرف سورية المركزي الدكتور حازم قرفول أن المجلس ناقش مشروع صك تشريعي بناء على مقترح مجلس النقد والتسليف يتضمن منح الفلاحين المتضررين من الحرائق قروضاً معفاة من الفوائد علما أن ٣ بالمئة من الفائدة سيتحملها برنامج دعم أسعار الفائدة.

وأشار قرفول إلى أنه بإمكان الفلاحين المتضررين تقديم طلبات القروض للمصرف الزراعي علما أن القروض سيتم تجهيزها بنسبة ١٠٠ بالمئة من المركزي لتغطية الاحتياجات ومنحها للمصرف الزراعي وذلك سيساعد الفلاحين المتضررين على تسديد الديون السابقة بعد إعفائهم من الفوائد والغرامات.

كلمة البعث

سـلام... أم تطبيع
هل يفرّط العربي بحقوقه الشرعية؟!

(في فضاء الردّ السوري على طرح الموفد الأمريكي للتعاون في مكافحة الإرهاب)

د. عبد اللطيف عمران

مع بروز سطوة المحافظين الجدد ومفرزاتها في الواقع الدولي المعاصر، وبما تنطوي عليه من سياسات الهيمنة والتفرّد، ونوازع القطبية الأحادية، وطروحات (من ليس معنا فهو ضدنا) و(محور الشر)، لم يعد هناك من مصداقية ولا التزام بقرارات الشرعية الدولية، ولا بالقانون الدولي، على نحو ما كان سائداً في القرنين السابقين. وها نحن نشهد ضرباً عرض الحائط بالاتفاقات الدولية، وبقرارات الجمعية العامة، ومجلس الأمن، وبالقانون الدولي من قبل ساسة معاصرين متطرفين من أمثال ترامب وأردوغان ونتنياهو.

لكن المشكلة ليست هنا فحسب، بل المشكلة تكمن في أن أصحاب الحقوق (المشروعة) و(الشرعية) هم الذين ينخرطون في التنكّر للقرارات وللقوانين التي تدعم حقوقهم، فيبادرون إلى التفريط بها، في وقت نجد أطرافاً دولية تدعم هذه الحقوق، وتجابه التفريط بها على نحو ما شهدنا مثلاً في تصريح الخارجية الروسية رداً على إعلان ترامب (صفقة القرن): ليس الولايات المتحدة من يقرّر مسيرة السلام في الشرق الأوسط، وكذلك أعلن الاتحاد الأوروبي تمسكه بقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة.

فإذا كان بعض النظام الرسمي العربي يمضي مسرعاً في التفريط بهذه الحقوق المشروعة والشرعية فإن الشارع العربي برأيه العام الشعبي، وبأغلب أحزابه ومنظماته واتحاداته ونقاباته المهنية والشعبية، الثقافية والفنية والرياضية. إلخ لا ينسى هذه الحقوق وتلك القرارات، ومنها على سبيل المثال قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ لعام ٧٥ الذي ينصّ على (إن الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وهي تشكّل خطراً على الأمن والسلم العالميين)، لكن البعض لا يدرك معنى هذا وأهميته، ولا الفرق أو الصلة بين السلم والسلام ثنائي الأطراف بخطره وبالتسرع فيه، لأنه فقط يتذكّر أو يتمسّك بأن هذا القرار أُلغي عام ١٩٩١ لأن الإلغاء كان شرطاً مسبقاً لمشاركة (إسرائيل) في السنة ذاتها بمؤتمر مدريد، بينما الرأي العام العربي يدركُ بدقة مآل مؤتمر مدريد واتفاقيتي وادي عربة وأوسلو، وكمب ديفيد قبلهما، بما في ذلك استمرار العدوان الإسرائيلي على الشعب والأرض والحقوق العربية وقرارات الشرعية الدولية، وبخاصة قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ المتضمّن (انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة- القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان العربية السورية).

حسناً. لا يعرف العربي اليوم -وعلى وجه الدقّة والتحديد (العروبي)- الفرق بين مصطلحي (السلام) و(التطبيع)، فإذا كانت الاتفاقات الثنائية بين الكيان الصهيوني وبعض النظام الرسمي العربي اتفاقات سلام فأين هي جبهات القتال الساخنة اليوم بين طرفي الاتفاق؟!. إن مجريات الأمور تكشف أن هذا ليس سلاماً بل استسلاماً في سياق التطبيع، أي تحويل العلاقات بين الطرفين لتكون (طبيعية) جرّاء تناسي (تاريخ) الخلاف والعداء، لذلك يصرّ الصهاينة على تسمية الاتفاقات الثنائية اتفاقات سلام، ويصفونها بـ(التاريخية)، ويدفعون هم والإدارة الأمريكية بداعش ليعلن الناطق باسمه ألعوبة أنه سيستهدف التطبيع والمطبّعين لخلق حالة عداء (واحدة) للتطبيع بين داعش ومقاومة التطبيع والاستسلام، وتستمر الألاعيب حين يعلن (الإسرائيلي) للطرف العربي عن تخوّفه من معارضة تركيا لاتفاقات السلام، بزعمهم أن أردوغان (إخونجي) ضد هكذا سلام، في وقت نعرف فيه أن أردوغان أرذل المطبعين وأخطرهم، وأن الإخونجي محمد مرسي كتب رسالة (تمنيات أخوية تاريخية لبيريز) هي سمة وعار على الإخونجية.

هذا التفريط، والتسرّع، هل يعرف أقطابه الفرق بين (إسرائيل) و(الكيان الصهيوني)، وهل هذه الاتفاقيات تضع حدوداً واضحة، جغرافية وسياسية واقتصادية. لـ(الصهيونية)؟! في وقت يطالعنا بعض رجال الأعمال (العرب) بصدى رسالة مرسي السابقة ليعلن عن الاستثمار المشترك في القدس الشرقية، وعن (المصالح المشتركة، و«القيم المشتركة»!! وعن السلام الدافئ)، فهل لبعض العرب قيم مشتركة مع الاستيطان، والاحتلال، والعنصرية وتهويد القدس الشرقية التي تمّ تقسيم القدس جرّاءها إلى شرقية، وغربية، وبالأحرى إلى القدس، (والقدس الشريف)، وهنا الفرق كما هو بين السلام، والاستسلام (التطبيع)، فالقدس كلها شريف بشرقها وغربها، إذ إن أي أرض عربية محتلة هي حق وواجب (شريف).

إن القيم المشتركة غائبة بين العروبية والصهيونية، بينما هي حاضرة اليوم بين الصهيونية والعثمانية الجديدة، حيث يرى العالم -مجلة ذا ناشيونال انترست الأمريكية مثلاً- (أن طموحات أردوغان أصبحت خارج السيطرة، فهو يستخدم وكلاء إرهابيين ولا سيما من سورية للقتال ضد سورية وليبيا وأرمينيا. إن أردوغان ٢٠٢٠ مثل صدام ١٩٩٠).

إن العالم الجديد المستهزئ بالقانون الدولي، وبالشرعية الدولية، والمشجع على التطبيع والتفريط والعدوان والاحتلال يغري أمثال نتنياهو وأردوغان وترامب بالأطماع، لذلك فإن طرح مقاومة الاحتلال والعدوان والعقوبات، ثقافة ونهجاً لن يموت، ولن ينكسر مادامت هناك روح عروبية، وستدوم، ولن يستطيع لا العربي ولا العروبي التفريط بالحقوق لأنه من الواضح -حتى تاريخه- أن (إسرائيل) ستبقى صهيونية، ولن تقبلهما إلاّ مستسلمَين، وبالمقابل فإن الأجيال الطالعة لن تستطيع التكيّف مع الاستسلام ولا قبوله لما فيه من إذلال وتفريط.

ما أشبه اليوم بالبارحة؟
مئة عام على إنشاء سورية الحديثة

«البعث الأسبوعية»
ـ مازن المغربي

مر قرن كامل على تأسيس الكيان السوري من خلال إعلان المملكة العربية السورية التي لم تعش طويلاً نتيجة لتضافر العديد من العوامل. وحين يقوم المرء بمراجعة تاريخية للظروف التي رافقت إقامة أول كيان سوري يُصدم بمدى تشابهها مع الظروف الصعبة التي تمر بها بلادنا منذ قرابة عقد من الحرب الطاحنة.



كان هناك العديد من المحطات الرئيسية التي سبقت الوصول إلى فكرة إقامة كيان سياسي يستلهم نظام الدولة الحديثة، ابتداء من «التنظيمات العثمانية» التي كانت بمثابة إصلاحات استوحت التجربة الأوروبية إلى حد بعيد، بهدف تغيير نظام السلطنة العسكري والإداري، وإرساء الإمبراطورية على أسس فكرية وقانونية جديدة. وقد أدت هذه «التنظيمات» إلى بروز مفهوم الوطن للمرة الأولى بديلاً عن مفهوم «الأمة الإسلامية» الفضفاض الذي كان سائداً في الخطاب السياسي.

ومع إقرار إصلاحات مدحت باشا، عام ١٨٧٦، عرفت منطقة بلاد الشام للمرة الأولى دستوراً مأخوذاً عن الدستور الفرنسي والبلجيكي والسويسري، وهي دساتير وضعية علمانية، الأمر الذي مهد الطريق أمام بروز شخصيات طرحت فكرة المطالبة بالمساواة بين كافة مكونات المجتمع العثماني وإصلاح أوضاع الولايات العثمانية الناطقة باللغة العربية.

بدأ اسم ولاية سورية يظهر في المراسلات الرسمية العثمانية، منذ العام ١٨٥٦، لكن حدود هذه الولاية شهدت تعديلات متتالية، ولم تتطابق مع حدود سورية الطبيعية، حيث شكلت حلب ولاية منفصلة، وتم تحويل القدس إلى سنجق مرتبط بالباب العالي، كما تم فصل الساحل عن الداخل السوري. لكن ما يهمنا من كل هذا هو أن فكرة الدولة السورية بدأت تتبلور في أذهان أفراد النخب المحلية، الأمر الذي فسح المجال لتشكيل جمعيات سرية مال أغلبها إلى فكرة تحسين ظروف الولايات العربية، وتوحيدها في إطار

سياسي، مع بقائها مرتبطة بالباب العالي. لكن كان هناك تيارات أخرى نادت بوحدة سورية الطبيعية وفصلها عن الدولة العثمانية، كما كان هناك تيار طالب باستقلال لبنان ووضعه تحت الحماية الفرنسية.

ومن أوجه التشابه بين الوضع الذي رافق نشوء الكيان السوري الحديث، وحال هذا الكيان، بعد مرور قرن كامل من الزمان، هو تدخل مختلف القوى الكبرى في الشأن السوري بشكل فاضح. فقد كان لفرنسا مشروعها الخاص فيما يخص الولايات العثمانية الناطقة باللغة العربية في آسيا. وكان لدى الحكومة الفرنسية مبررات للاهتمام بالشأن العثماني بعد أن نجحت بفرض هيمنتها على الاقتصاد العثماني، بحيث مثلت الاستثمارات الفرنسية، عشية الحرب العالمية الأولى، ثلثي الاستثمارات في الدولة العثمانية.

واعتمدت باريس في تمهيد الميدان لنشر نفوذها على شبكة المدارس التي أنشأتها، بحيث كانت تلك المدارس تستقبل سنوياً ٩٠ ألف طالب في مختلف المدن العثمانية، ونلاحظ أن معظم قادة ما عرف تحت تسمية «اليقظة العربية» كانوا من خريجي تلك المدارس، أو من خريجي الكليات الأمريكية. هدف المشروع الفرنسي بشكل أساسي إلى تحقيق أطماع تاريخية في سورية الطبيعية، وكان لديه توجه تفتيتي قائم على تقسيم ما كان يمثل ولايتي دمشق وحلب إلى كيانات صغيرة على أساس طائفي، مع منح موارنة جبل لبنان امتيازات على حساب باقي المكونات. ومن المؤشرات على مدى اهتمام الحكومة الفرنسية بالشأن السوري استضافة باريس لـ «الجمعية العربية الفتاة»، وتسهيل نشاطاتها التي كان من محطاتها الهامة عقد المؤتمر السوري الأول، في حزيران ١٩١٣، وكان معظم المندوبين فيه من المثقفين الذين أدركوا أن مخاطر أطماع البلدان الغربية تفوق كل مساوىء البقاء تحت مظلة الدولة العثمانية، لذا ركزت مقررات المؤتمرعلى أهمية الإصلاحات السياسية، بحيث ينال العرب حقوقاً مساوية لحقوق الأتراك. ولم يكن هذا ما هدفت إليه باريس، لكن نتائج المؤتمر نبهتها إلى أن سكان بلاد الشام غير تواقين للارتباط بالمشروع الاستعماري الفرنسي.

وجاء اندلاع الحرب العالمية الأولى، وانحياز الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا، ليغير المعطيات. ثم تبين، منذ نهاية عام ١٩١٥، أن الحلفاء سيربحون الحرب، وبدأت عملية التفاوض على تقاسم ممتلكات الدولة العثمانية، وصولاً إلى اتفاقية سايكس بيكو التي منحت فرنسا السيطرة على سواحل بلاد الشام، في حين حصلت بريطانيا على سورية الداخلية وعلى العراق.

كما كان لبريطانيا مشروعها الخاص، الذي كان تجميعياً يهدف إلى إنشاء مملكة عربية فيدرالية ترتبط بمصر، أو بالحكومة البريطانية مباشرة. فبعد استماتة بريطانيا في الدفاع عن الدولة العثمانية في صراعها مع روسيا القيصرية، تغير موقفها بشكل كامل مع اندلاع الحرب العالمية الأولى. وصار لدى لندن، التي سيطرت فعلياً على سواحل شبه الجزيرة العربية التي ارتبط زعماء قبائلها بحكومة الهند البريطانية وتلقوا منها مساعدات، اهتمام خاص بمنع السلطنة العثمانية من إثارة مسلمي الهند، فقد كان من الأمور التي شغلت أذهان المسؤولين البريطانين موقف المسلمين، حيث كان الإسلام مصدر قلق للإمبراطورية التي حكمت أكثر من نصف مسلمي العالم، في تلك الفترة، بعد أن تجاوز عدد سكان مسلمي الهند، وحدها، سبعين مليون نسمة. وقد صُدم الضباط البريطانيون بالثورة التي أشعلها مسلمو الهند، في ١٨٥٧ –١٨٥٩، ثم بثورة المهدي في السودان. وكان لدى البريطانيين فهم مجتزأ لمكانة الخليفة العثماني لدى مسلمي العالم، وصار لديهم هاجس الخوف من بروز زعيم إسلامي قادر على تجييش مسلمي العالم ضد سياساتهم. وضمن هذا الإطار، برزت فكرة تنصيب خليفة للمسلمين من العرب، ووقع اختيار «المكتب العربي» في القاهرة على حاكم مكة الشريف الحسين بن علي، ونجح ضباط المكتب وخبراؤه في إقناع الحسين بالانقلاب على الباب العالي. وللأسف صار مصير بلادنا مرتبطاً بقرارات بعض الضباط البريطانيين المفتقدين للخبرة فيما يتعلق بسورية، بعد أن تولد لديهم اعتقاد بأن الخبرات التي راكموها في مصر والسودان يمكن أن تُعمم على سورية. كما كان لديهم وهم بأن سكان سورية، باستثناء موارنة لبنان، تواقون لأن تحكمهم بريطانيا. لقد اهتم الباحثون البريطانيون بطبيعة الدولة العثمانية، بداية بوصفها حليفاً في مواجهة روسيا القيصرية. وقد كتبت الرحالة البريطانية الشهيرة غرترود بيل: «لم يكن هناك دولة أكثر ادعاء من السلطنة العثمانية التي حاولت إيهام العالم بأنها تمتلك سلطة مركزية».

في واقع الأمر، تركزت سلطة الدولة في مراكز المدن، في حين عاش الريف في ظل سلطة زعماء محليين فرضوا هيمنتهم على مناطق جغرافية محدودة، وتعاملوا مع ممثلي الدولة بوصفهم شراً لا بد منه. وكان للوزير البريطاني سايكس دور رئيسي في رسم صورة الشرق الأوسط الذي تتوق لها لندن، وترأس لجنة قررت تقسيم الدولة العثمانية إلى خمسة أقسام يفترض أن تمنح حكماً ذاتياً، هي الأناضول، وسورية،

وفلسطين، وأرمينيا، والحزيرة العربية بحيث تشمل العراق.

واعتمدت تلك التقسيمات منطلقات لاهوتية لا علاقة لها بالواقع على الأرض، لكن – وللأسف – هكذا ولدت فكرة إنشاء كيان سوري. كما كان للسياسي البريطاني لويد جورج دور كبير في تحديد مصير بلادنا، فبعد أن كان معارضاً للحرب، صار من أنصار الاستيلاء على أراضي العدو المهزوم. وكان صهيونياً حتى العظم، بمعنى اقتناعه بأن بعث «مملكة إسرائيل»، وإعادة اليهود إلى فلسطين، سيكون مقدمة لعودة المسيح ليقيم مملكة الرب الأبدية.

ومثل إعلان بلفور نقطة علام على درب إنشاء الكيان السوري وكان المسار، الذي قاد إلى إصدار ذلك الإعلان، كثير التشعب، ومر بالعديد من المنعطفات، لكن الهدف الحقيقي الكامن وراء ذلك التصريح كان نتاج عقلية استعمارية ضاربة الجذور في ثقافة النخبة السياسية والثقافية البريطانية.

رأى الكثير من رجال السياسة البريطانيين أن الوعود المبذولة للعرب لم تكن ملزمة، لأن بريطانيا اشترطت قيام الفرق العربية المرابطة في بلاد الشام بالتمرد، وهو أمر لم يحدث أبداً، حيث ثابر معظم الضباط العرب على الولاء للدولة العثمانية. وانتهت الحرب بهزيمة الدولة العثمانية وانسحابها من منطقة شرقي البحر المتوسط، ودخلت القوات البريطانية دمشق، وفرضت سيطرتها على كامل سورية الداخلية، في حين سيطرت الجيوش الفرنسية على الساحل، وجعلت من بيروت مقراً لقيادتها. وبعدها بادر الجنرال غورو إلى احتلال الأقضية الأربعة، عكار والبقاع وراشيا وحاصبيا، وألحقها بجبل لبنان.

وجاء مؤتمر السلام في باريس ليجسد بؤس أداء الفيصل بن الحسين، الذي وقع اتفاقاً مع حاييم وايزمان اعترف به بإعلان بلفور الذي تم اعتماده ضمن وثائق المؤتمر.

لقد تم تهميش النخب المحلية خلال مرحلة تأسيس الكيان السوري الحديث، وهنا يكمن الفرق الجوهري بين الوضع الحالي، ووضع بلادنا قبل مئة عام. فعلى الرغم من حشد أكثر من مئة وعشرين دولة ضد الدولة السورية، لكن الدولة صمدت بفضل وجود نخبة سياسية امتلكت مشروعاً خاصاً بها يركز على وحدة سورية وسياستها، الأمر الذي أربك صناع القرار في البلدان الغربية. وفي الحقيقة، نحن نعيش مرحلة إعادة تأسيس ضمن ظروف صعبة تقتضي وضع رؤية لتعزيز تلاحم المجتمع، وسد الثغرات التي لن يتردد المعسكر المعادي في استغلالها.

روسيا في سورية والقوقاز..
هل هناك محاولة أردوغانية للانتقام؟

"البعث الأسبوعية" ـ تقارير



أصبح دور تركيا الضخم في تأجيج الصراع بين أرمينيا وأذربيجان أكثر وضوحاً، وهذا هو السبب في أنه سيكون من الصعب إبرام اتفاق سلام. وفي الواقع، قد ينفجر الصراع إلى حرب إقليمية طويلة الأمد قد تجر روسيا إلى القتال، في القوقاز، على أطرافها الجنوبية ضد وكلاء الناتو.

في مكالمة هاتفية الأسبوع الماضي مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، أكد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان دعمه جهود موسكو للتوسط لوقف إطلاق النار في منطقة ناغورنو كاراباخ المتنازع عليها بين أرمينيا وأذربيجان. على الرغم من ذلك، بدا أن أردوغان يمارس نوعاً من المماطلة أمام نظيره الروسي. وقال إنه يجب أن يكون هناك "حل دائم" للنزاع الإقليمي المستمر منذ عقود.

لقد أوضح أردوغان وحليفه الرئيس إلهام علييف، بالفعل، أن الحل الوحيد المقبول لهما هو أن "يتنازل" الأرمن عن المطالبة بناغورنو كاراباخ. ولطالما وصفت تركيا وأذربيجان – المرتبطتان بالثقافة التركية المشتركة – الجيب الذي يسيطر عليه الأرمن بالاحتلال غير الشرعي للأراضي الأذربيجانية، منذ انتهاء الحرب الحدودية في عام ١٩٩٤.

وعندما اندلعت الأعمال القتالية مرة أخرى، في ٢٧ أيلول الماضي، أشارت التقارير الأولية إلى أن الاشتباكات كانت عشوائية، حيث تبادل الجانبان الاتهامات ببدء العنف. ومع ذلك، أصبح من الواضح منذ ذلك الحين أن الإجراءات التي اتخذها الجانب الأذربيجاني كانت على ما يبدو اعتداء مخططاً ومبيتاً بدعم تركيا الكامل.

بعد اشتباك دموي سابق في ١٢/ ١٣ تموز، أسفر عن سقوط عشرات الضحايا في صفوف القوات الأرمنية والأذربيجانية، بدأت مناورات عسكرية ضخمة في أذربيجان شارك فيها ١١ ألف جندي تركي ابتداء من ٢٩ تموز. ولمدة أسبوعين تقريباً، حتى شهر آب، تم نشر الأسلحة المدفعية والطائرات الحربية ووحدات الدفاع الجوي، في ما كان واضحاً أنه دافع رئيسي من جانب أنقرة وباكو لتنسيق الجيوش في كلا البلدين لتنفيذ عمليات مشتركة. علاوة على ذلك، أشارت التقارير إلى أن القوات التركية، بما في ذلك الطائرات المقاتلة من طراز F-١٦، بقيت في أذربيجان بعد التدريبات العسكرية غير المسبوقة.

إلى جانب التدريبات، كانت هناك أيضاً زيادة كبيرة في مبيعات الأسلحة العسكرية من تركيا إلى أذربيجان. وبحسب أرقام الصادرات التركية، كانت هناك زيادة ستة أضعاف في صفقات الأسلحة مقارنة بالعام السابق، حيث تم تسليم معظم الإمدادات في الربع الثالث من العام ٢٠٢٠، بين تموز وأيلول. وشملت الأسلحة طائرات بدون طيار وقاذفات صواريخ كان لها تأثير مدمر منذ اندلاع الأعمال العدائية في ٢٧ أيلول.

العامل الثالث الذي يشير إلى عدوان مخطط له كان نقل نظام أردوغان للمرتزقة من سورية وليبيا للقتال في الجانب الأذربيجاني. وقد وصل الآلاف من هؤلاء "المقاتلين" الذين ينتمون إلى كتائب تكفيرية خاضعة لسيطرة تركيا إلى العاصمة الأذربيجانية باكو قبل اندلاع الأعمال العدائية في ٢٧ أيلول. ولا يمكن أن تعني الخدمات اللوجستية التي ينطوي عليها تنظيم مثل هذا الانتشار الواسع إلا التخطيط على المدى الطويل لحرب عدائية.

وتقول المصادر الأرمينية أيضاً أن السلطات الأذربيجانية بدأت في حجز المركبات المدنية قبل أسابيع من بدء حرب إطلاق النار، كما تقول أنه، عند بدء الاشتباكات، كانت وسائل الإعلام التركية موجودة على الأرض لتقديم تغطية حية للأحداث.

لذلك يبدو أنه لا جدال في أن تركيا وأذربيجان قد اتخذتا قراراً استراتيجياً لتنفيذ "حل نهائي" للنزاع الذي طال أمده مع أرمينيا بشأن ناغورنو كاراباخ.

وهذا ما يجعل الجهود الروسية للتوسط في وقف الأعمال العدائية أكثر صعوبة. بعد محادثات ماراثونية توسط فيها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، تم إقرار وقف لإطلاق النار في ١٠ تشرين الأول. غير أن الهدنة انهارت في غضون ساعات مع ورود أنباء عن استئناف تبادل إطلاق النار وقصف المدن على الجانبين. الانتهاكات الرئيسية ارتكبها الجانب الأذربيجاني باستخدام أسلحة تركية متطورة، واشتكى القادة الأرمن من أن الجانب الأذربيجاني لا يبدو مهتماً بمتابعة محادثات السلام.

الأمر الأكثر إرباكاً هو اتساع نطاق الصراع، فقد أصابت الضربات الجوية الأذربيجانية، منذ انهيار وقف إطلاق النار في نهاية الأسبوع، مواقع داخل أرمينيا، ما أدى إلى تمديد الصراع إلى ما وراء منطقة ناغورنو كاراباخ. كما قالت أذربيجان أن الصواريخ الأرمينية أصابت مدناً داخل أراضيها. وتنفي أرمينيا بشكل قاطع تنفيذ مثل هذه الضربات، الأمر الذي يطرح السؤال التالي: هل يقوم طرف ثالث سراً باستفزازات ويثير تصعيد الصراع؟

ما يمثل تحدياً بالنسبة لروسيا هو أن عليها التزاماً قانونياً بالدفاع عن أرمينيا كجزء من منظمة معاهدة الأمن الجماعي (١٩٩٢). ومع تعرض أرمينيا لإطلاق النار، سيكون هناك ضغط على موسكو للتدخل عسكرياً. وسيؤدي ذلك إلى تورط روسيا في حرب أخرى بالوكالة مع تركيا، العضو في الناتو. لكن هنا ليس سورية.. إنها منطقة القوقاز على الحدود الجنوبية لروسيا. وهناك مخاوف بين كبار الشخصيات العسكرية الروسية من أن مثل هذا السيناريو هو بالضبط ما يهدف إليه أردوغان. لقد تفوقت روسيا على تركيا في الحرب بالوكالة في سورية، وأصيبت خطط أردوغان وحلف شمال الأطلسي في سورية بالفشل الذريع. ويبدو أن الصراع في القوقاز قد يكون الآن نوعاً من الانتقام الأردوغاني.

قد تحتاج موسكو إلى مراجعة علاقاتها مع أنقرة بجدية، وإعلام أردوغان بأنه يسير على الخطوط الحمراء.

«قوية على الضعيف ضعيفة أمام الأقوياء»

السياسة الخارجية الفرنسية على المحك: تخبط ومعايير مزدوجة!!



«البعث الأسبوعية» ـ هيفاء علي

سبعة عشر عاماً مرت على الرفض التاريخي للغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، والذي عبرت عنه كل من فرنسا وألمانيا وروسيا، وأحدث تحولاً في المواقف الدبلوماسية الفرنسية لكن، ومنذ الولاية الثانية لجاك شيراك، ومع عهد نيكولا ساركوزي، مروراً بعده بفرانسوا هولاند، وصولاً إلى رئاسة إيمانويل ماكرون، باتت السياسة الخارجية الفرنسية كارثة سياسية حقيقية لا نهاية لها، باعتراف كبار الخبراء والمحللين الفرنسيين.

فمنذ عام ٢٠٠٧، ورئاسة ساركوزي (٢٠٠٧ - ٢٠١٢)، التي روجت لها الولايات المتحدة عند نهاية عهد بوش الابن، ثم أوباما الذي كان ذروة التخريب في الولايات المتحدة، تم دفع فرنسا من قبل الأنغلو - أمريكان بمهارة للتصرف بطريقة تتعارض تماماً مع المصالح الاستراتيجية الفرنسية. وقد تجلى ذلك خلال الحرب الليبية التي تتلخص بالتدخل الفرنسي - البريطاني بذريعة إنسانية، والذي بدأ على ثلاثة مراحل بقصف طرابلس، ومن ثم الهجوم على بنغازي برتل من الدبابات والمدرعات، ومن ثم تحويل طرابلس وبنغازي إلى ركام من الأنقاض. عدوان سافر بني على أكاذيب وتضليل وتلاعبات السلطات الفرنسية بغية حفر عقول الغربيين المتخلفة والواهنة، وعلى وجه الخصوص عقول الفرنسيين الذين تم خداعهم وتضليلهم من قبل ساركوزي ومستشاريه العسكريين لتبرير العدوان وتدمير ليبيا والشعب الليبي باستخدام ذرائع واهية، لتتحول ليبيا اليوم إلى بلد مُقسّم، مُهدّم، ومُدمّر بين أيدي الإرهابيين الجهاديين المدعومين من الغرب. فرنسا وحلفاؤها كانوا المحرك الأساسي والصناع لهذه الكارثة التي أصبحت عليها ليبيا.

ساركوزي بدّد أيضاً مصداقية فرنسا بشكل دائم في سورية ومنطقة الشرق الأوسط، حيث اتسمت سياسته، وسياسة سلفه ماكرون، بالعدائية المطلقة، لتكون باريس رأس الحربة في جوقة المتآمرين الغربيين والعرب على سورية. وكما فعل في ليبيا، فعل في سورية لجهة تقديم كافة أشكال الدعم للإرهابيين الذين تم استقدامهم من معظم أنحاء العالم لتدمير الدولة السورية. ولم يكتف الرؤساء الثلاثة - ساركوزي، هولاند، وماكرون - بدعم الإرهاب وإرسال المال والسلاح والمرتزقة إلى سورية، بل دفعتهم عدائيتهم للتدخل العسكري المباشر في شمال سورية، حيث تتواجد قوات خاصة فرنسية لدعم التنظيمات الإرهابية والميليشيات الانفصالية لحزب العمال الكردستاني؛ كما تبرع المدعو ماكرون بتوجيه ضربة عسكرية أحادية الجانب لسورية دون أي تفويض أممي بذريعة رواية «الهجوم الكيميائي المزعوم» في دوما. وكان سلفه، هولاند، قد استكمل رواية الحرب هذه بحماسة، وأقدم على تسليح الإرهابيين بحماس وسخاء بلغا ذروتهما في صيف ٢٠١٣، عندما هاجم بأسوأ الكلمات سورية دون أن يعلم أن حلفاء فرنسا الأنغلو - أمريكان سيتخلون عنها، عندما أعلنت روسيا لـ «المجتمع الدولي» أن أي هجوم ضد سورية سيكون بمثابة هجوم مباشر ضد روسيا.

تم التخلي عن فرنسا، فجأة، بتشجيع من حزب داخلي من الخونة المناهضين لفرنسا التي وجدت نفسها وحدها تأسف لأن الولايات المتحدة تراجعت عن ضرب سورية مباشرة. ومنذ ذلك الحين، كما في ليبيا، لم يعد للدبلوماسية الفرنسية أي نوع من التأثير على الأزمة السورية. وستبقى بعيدة عن أي حل مستقبلي سيكون بالضرورة نتاج تفاهم بين القوى العظمى.

ومع انتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة، في تشرين الثاني ٢٠١٦، تم استحضار مجموعة من «خدم» الامبراطورية الأمريكية، الذين مارسوا النفاق الأوروبي في حربهم على سورية، واستغلوا إرهابيي «القاعدة» التي يزعم الجيش الأمريكي محاربتها في كل مكان. ومنذ ذلك الحين، وفي سياق العديد من الأزمات الجيوستراتيجية الكبرى الأخرى، تمكن الرئيس ماكرون من إطلاق العنان لمواهبه الفريدة، ويواصل عمله في التدمير الكامل للمصداقية الدبلوماسية الفرنسية في العديد من الملفات.

ماكرون «المحرض الأكبر» ضد روسيا في بيلاروسيا

ولكن، في أخطر مسارح العمليات الحالية، وبطريقة دراماتيكية مدمرة لمصداقية فرنسا، وفي تحد لتحالفاتها التاريخية، وجد الرئيس ماكرون نفسه مرة أخرى في موقع المحرض الأكبر من خلال لعب دور رأس الحربة ضد روسيا، في سياق أزمة مزدوجة تتجاوز بتداعياتها إدراكه، وتتعلق بكل من بيلاروسيا على خلفية مشروع أنبوب الطاقة «نورد ستريم ٢» الاستراتيجي في بحر البلطيق، وبالتوتر المتجدد بين أذربيجان وأرمينيا، بخصوص إقليم ناغورنو كاراباخ.

في هذه الأزمة المزدوجة، من المفارقات أن الدبلوماسية الفرنسية تعض ذيلها بنفسها، فبعد أن عارضت تركيا مرتين في البحر الأبيض المتوسط، فيما يتعلق بقضايا ليبيا والطاقة، قدمت دعمها المضمون، في أيار وتموز ٢٠١٨، لإلهام علييف، رئيس جمهورية أذربيجان، قبل أن تعارض تركيا مرة أخرى فيما يتعلق بأزمة ناغورنو كاراباخ، وهي تعلم جيداً أن أردوغان قام باستقدام الإرهابيين، الذين استخدمهم منذ العام ٢٠١١، في سورية، إلى الإقليم للقتال إلى جانب جيش أذربيجان. لكن في الوقت نفسه، أعلن ماكرون انحيازه ضد روسيا من دول البلطيق، حيث كان يقوم بزيارة رسمية لقاعدة تابعة لحلف شمال الأطلسي، وفي سياق تؤيد فيه فرنسا الرواية العدائية لحلف شمال الأطلسي ضد روسيا في أوروبا الشرقية. وفي هذا السياق، انحاز ماكرون علناً ضد روسيا في الملف البيلاروسي، مُتطرّقاً لموضوع «المعارضة الديمقراطية التي قمعها ظلماً ديكتاتور بيلاروسي شنيع متحالف مع روسيا الشريرة للغاية». وبالتالي فإن الدبلوماسية الفرنسية حليف فعلي لروسيا في القوقاز، ولكنها معارضة لروسيا في أوروبا الشرقية. هذه الدبلوماسية غير الواضحة، وغير المتماسكة، والمتخبطة، وذات المعايير المزدوجة، لا يمكن أن تؤدي إلا إلى محو القناة الدبلوماسية الفرنسية لافتقارها التام إلى المصداقية، فما يفوق فهم ماكرون هو «الكماشة الجيوستراتيجية» المتزامنة التي تحاول العولمة فرضها على روسيا، من خلال ضرب النفوذ الروسي في بيلاروسيا والبلطيق من جهة، وفي القوقاز من جهة أخرى. ومنذ حقبة التسعينيات، كان الهدف الجيواستراتيجي هو نفسه دائماً: افتعال الخراب الكامل لروسيا من خلال إلغاء سيادتها على مصادر وممرات الطاقة والاستيلاء على موادها الخام، وهي استراتيجية تخدم الكارتلات المصرفية العالمية لوول ستريت وبنك سيتي.

ولتحقيق هذا الهدف، تم استخدام وتطبيق الخطط المتعلقة بما يسمى «تغييرات النظام»، وهي تقنيات متعددة الأوجه للهندسة الديمقراطية تعمل بمهارة لغسل أدمغة الرأي العام وتأليبه، وإعداد حركات تخريبية تبدو مدنية، ولكنها لا تعدو كونها، في الواقع، وجهاً لصراع عسكري بحت، كما حدث في بولندا خلال الثمانينيات، وأيضاً في الصين، ثم في يوغوسلافيا خلال التسعينيات، وفي أوروبا الشرقية التي شهدت ما يسمى بـ «الثورات «الملونة»، وآخرها «الربيع العربي» المزعوم، ومرة أخرى في أوكرانيا في العام ٢٠١٤، من أجل ممارسة المزيد من الضغط على العمل الروسي في سورية. واليوم، في بيلاروسيا، حيث يتم وضع الأساليب التخريبية نفسها قيد التشغيل على نطاق واسع.

فإلى جانب فكرة تعطيل محور الدعم الاستراتيجي لسورية بقيادة روسيا، مروراً بمنطقة القوقاز وأرمينيا، ظهرت جوانب أخرى واضح لتزامن الأزمات هذا، منذ آذار الماضي، في سياق الأزمة الصحية العالمية الراهنة، مع تفشي جائحة كورونا التي يمكن اعتبارها، من نواح كثيرة، ذات جوانب مثيرة للفضول، بل ومشبوهة، وتنطوي على انهيار مبرمج لأسعار المواد الخام الاستراتيجية، بحيث يظل الهدف الاستراتيجي كما هو: تدمير واستنفاد روسيا من خلال الاستنزاف النقدي، والإجراءات المفروضة عليها من الخارج لعرقلة دعم حلفائها، وتحريك الاضطرابات الاجتماعية الداخلية. وفي هذا الصدد، من الضرورة بمكان التنويه إلى أن بيلاروسيا رفضت العديد من الإجراءات التي كانت منظمة الصحة العالمية ترغب في فرضها عليها، كشرط للقروض التي يدعي صندوق النقد الدولي تقديمها لها بسخاء. ويوضح هذا تماماً دور الاستنزاف النقدي في ظهور العولمة، ونواياها لتدمير سيادة الدول والشعوب وبسبب رفضه الشجاع لهذه الشروط، أصبح لوكاشينكو «الرجل الذي يقتل شعبه» من وجهة نظر البروباغاندا الغربية.

وعليه، فإن المستهدف من القضية البيلاروسية هو روسيا بالطبع، وإذا سقطت روسيا البيضاء فستكون روسيا أكثر تهديداً بالنسبة للغرب مما هي عليه بالفعل، بسبب عملها الشجاع في العالم ولذلك، تحاول مجموعة من وكلاء التأثير التخريبي المولين من الخارج إسقاط بيلاروسيا، مستفيدين، كما في روسيا، من التداعيات الحتمية للحقبة السوفيتية.

على أي حال، لا يزال من الضروري فهم النفاق الشديد للنشاط الغربي ضد بيلاروسيا، والذي يجد الرئيس ماكرون نفسه مرة أخرى تحت رحمته، في تحدٍ لمصالح فرنسا الاستراتيجية وصداقاتها التاريخية.

حقيقةً، يعمل ماكرون على تشويه صورة فرنسا، ويثير وصمة العار في العالم ضدها عندما أيد أخيراً رواية «التهديد الروسي»، وهي رواية كانت قد فرضت عليه بمهارة من قبل وسائل الإعلام الأنغلو- أمريكية والفرنسية، والتي تفيد بأن روسيا «هاجمت أوروبا من فرنسا». ليس هذا فحسب، بل ويجرؤ على الادعاء بإعطاء دروس في الحرية والديمقراطية للرئيس لوكاشينكو، ماضياً إلى حد المطالبة باستقالته، على الرغم من أنه خلال عامين من القمع المستمر للسترات الصفراء، فإن الانتهاكات التي ارتكبتها قوات الأمن الفرنسية بحق المتظاهري لم تشهدها فرنسا من قبل، وبالتأكيد من خلال تقنيات مخزية ومخالفة تماماً للتقاليد المثبتة في حفظ النظام في فرنسا. وسوف يسمح التطور التشريعي الأخير في المستقبل، في فرنسا، بإلقاء القبض على أي مراقب، أو حتى صحفي، بطريقة تعسفية تماماً، مع محاولة التستر على أي معلومات حول الزيادة الهائلة في هذه المخالفات المرتكبة من قبل قوات الأمن الفرنسية في هذه الأثناء، يُترك مرتكبو الجريمة في فرنسا في حالة إفلات تام من العقاب، ولا يُستهدف سوى الفرنسيين المجنّسين عندما يحاولون منع تجار المخدرات من إرهاب أحيائهم.

علاوةً على ذلك، تفيد المعلومات بظهور حالات غريبة تثبت تورط أجهزة مكافحة الإرهاب الفرنسية في إساءة استخدام السلطة، بما في ذلك اغتصاب أطفال فرنسيين. هذا في حين تبيّن أن فرنسا هي الدولة الوحيدة التي عرقلت التحقيقات الأمريكية لمكافحة الاعتداء الجنسي على الأطفال في قضية جيفري إبشتاين، مع اختفاء أكثر من ٥٠,٠٠٠ طفل كل عام، في فرنسا، وأكثر من ١٥٠ ألف حالة اغتصاب ولربما ينبغي على الرئيس ماكرون أن يبدأ في القلق بشأن ما يجري في بلاده، بدلاً من الذهاب بشكل محرج للزج بنفسه في التحريض الدعائي ضد بيلاروسيا.

في هذه الدولة الفرنسية «القوية على الضعيف والضعيفة أمام الأقوياء»، والتي حُوّلت حالياً، على يد ماكرون وأتباعه، عن وظيفتها الأولية المتمثلة في حماية الشعب، لم يعد للفحش أي حدود، فها هو ماكرون نفسه يدعي اليوم أنه يعطي دروساً لبيلاروسيا، في حين يدرك الرأي العام الفرنسي أن الدولة الفرنسية تتعرض للاختطاف بشدة، وأن تصرف ماكرون غير جدير أبداً بما كانت عليه فرنسا حتى وقت قريب، فلم تعد صالات الإليزيه تستخدم للدبلوماسية العظيمة، بل أصبحت قاعات رقص كئيبة لأكثر «الفنانين المتحولين جنسياً سخافةً، والذين يمكن للمرء أن يجدهم في فرنسا»، على حد تعبير أحد المحللين.

أربعائيات

عندما تضيق الدائرة

د. مهدي دخل الله

لا شك في أن دائرة الصراع العربي- الإسرائيلي تضيق باستمرار منذ عام ١٩٨٠ بعد خروج مصر المدوي من هذا الصراع. بداية التسعينيات خرج الأردن فضاقت الدائرة أكثر، ثم جاء أوسلو ليضع السلطة الفلسطينية، عملياً، خارج الدائرة في المفهوم المقاوم.

الفترة الأخيرة تشهد تضييقاً جديداً، نوعياً، لهذه الدائرة. تخرج دول الخليج تباعاً من الدائرة، وهناك من يقف في «الطابور» كالسودان والمغرب وغيرهما. صحيح أن الأمر يتعلق بالمنظومة السياسية الرسمية العربية وليس بالشعوب، لكن عالمنا بكامله يعيش واقع التأثير المطلق للمنظومات الرسمية.

أخطر ما في الأمر أن ما نراه كله يضع العربة قبل الحصان، لدرجة أن الحصان قد يضيع ويصبح بلا فائدة. وضع السلام قبل زوال الاحتلال لا يقبل به المنطق ولا الحس السليم أو تجارب الشعوب. اليوم دخلت دول عربية عدة حظيرة السلام مع إسرائيل، والأرض مازالت محتلة. أي عبث هذا؟!.

الاستمرار في تضييق دائرة الصراع هو أزمة عربية بنيوية بالتأكيد، ولكن هل من الممكن تحويل الأزمة إلى فرصة؟.

هناك قانون معروف في العلوم الطبيعية، في الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، إذا ضاقت دائرة تركيب ما زادت كثافته، وزيادة الكثافة تعني زيادة الفعالية، أي أنه- في المحصلة - تحول إيجابي.

هذا بالذات ما يحصل مع دائرة الذين مازالوا يصرون على أن يكون الحصان أمام العربة وليس العكس. كنا نخسر حروبنا عندما كانت الدائرة واسعة جداً تضم العرب ودولهم من المحيط إلى الخليج + حركة عدم الانحياز + الاتحاد السوفييتي والتوازن الدولي + الصين والهند. حرب تشرين ١٩٧٣ نفسها ربحناها عسكرياً، لكن ما فعله السادات أعطى نصراً سياسياً لإسرائيل هو الأهم لها، الأخطر لنا، منذ بداية الصراع.

عند انهيار التوازن الدولي وظهور أحادية القطب، حققنا أول انتصار عسكري وسياسي، لأن الدائرة ضاقت وأضحت أكثر كثافة. كان ذلك عام ٢٠٠٠ بتحرير الجنوب اللبناني. بعد ذلك ازدادت الدائرة ضيقاً، وكثافة، فحصل انتصار ٢٠٠٦ الذي اعترفت به إسرائيل دون لبس، ثم تحرير غزة، وتعزيز مقاومة الشعب الفلسطيني بعيداً عن «نظامه»، وعن «فصائله».

اليوم تضيق الدائرة أكثر من ذي قبل. فهل لدينا فعلاً القدرة للتأكيد على أن الحصان ينبغي أن يكون قبل العربة، وفرض ذلك على إسرائيل؟؟.

mahdidakhlala@gmail.com

صعود متزايد للفاشية البيضاء وتأثير متنام للقومية المسيحية..

كيف يعاقَب فقراء أمريكا في حطام اللحظة الترامبية الراهنة؟!



«البعث الأسبوعية» ـ سمر سامي السمارة

اختتم نائب الرئيس الأمريكي مايك بنيس خطاب قبوله في المؤتمر الوطني للحزب الجمهوري، في ٢٦ آب الماضي، بنغمة توراتية وفي خطابه أمام نصب فورت ماكهنري التذكاري، في بالتيمور، تحدث للحشد قائلاً: «دعونا نبقي عيوننا مصوبّة على مجدنا السابق، وكل ما يمثله بالنسبة لنا. دعونا نركز أعيننا على أرض الأبطال، هذه، ونستلهم منهم شجاعتهم» أثناء ذلك، أعاد ترداد عبارة من أسفار العهد الجديد: «دعونا ننظر إِلَى رئيسِ الإيمانِ وَمُكَمِّله يَسُوع، الذي مِنْ أَجل السُّرور الْمَوْضُوعِ أَمامَه، احتملَ الصَّلِيبَ مُستهيناً بِالْخزْي».

بطبيعة الحال، لا جديد في أن يمزج السياسيون الأمريكيون بين الدين والسياسة خلال حملاتهم الانتخابية. ومع ذلك، أثار قرار بنيس استبدال العلم الوطني بيسوع دهشة عدد من الطوائف الدينية والسياسية، إذ قدم هذا الدمج بين المجد السابق والمسيح دليلاً إضافياً على تنامي نفوذ القومية المسيحية في عصر ترامب ولم يعد من الصعب العثور على أدلة لمعرفة عمق تأثير القومية المسيحية في صناعة السياسة الأمريكية، فخلال الوباء، تم استخدام الكتاب المقدس و«تشويهه» مراراً وتكراراً لتبرير إنكار تفشي كوفيد-١٩، وتقاعس الحكومة. وفي أواخر شهر آذار، عندما كانت المدن تغلق أبوابها، وكان مسؤولو الصحة العامة يوصون بإجراءات صارمة للحجر الصحي، كان الإجراء الأول لترامب أن جمعَ أتباعه في البيت الأبيض في ما وصف بأنه «يوم صلاة وطني» لمنح الأمريكيين القوة لتحمل هذه الأوقات العصيبة. وفي وقت لاحق من الربيع، طالب المحتجون على عمليات الإغلاق، الممولون من مجموعات سوداء، مثل «كوتش برادزر»، بإعادة فتح الولايات للعمل، وإتباع إرشادات التباعد الاجتماعي. وقد رفعت المحتجون لافتات من قبيل: «حتى الفرعون حرر العبيد من الطاعون»، و«تكساس لن يصمها الوحش بعلامته». وحتى عندما كانت الطوائف الدينية تكافح للتكيف مع خدمات العبادة، عبر تطبيق دردشة الفيديو «زوم»، فضلاً عن الرعاية الكنسية عن بُعد، استمر ترامب بتأجيج نيران الخلافات الدينية، معلناً أن أداء العبادة الشخصية «ضروري»، بغض النظر عن تشكيك الخبراء القانونيين بسلطته للقيام بذلك.

عند الحديث عن نسخة ترامب للقومية المسيحية، لا ينبغي لأحد أن ينسى مشهد شهر حزيران، في ساحة لافاييت، بالقرب من البيت الأبيض، عندما جرى إطلاق الغاز المسيل للدموع على المتظاهرين المطالبين بالعدالة العرقية، لكي يتمكن الرئيس - المرشح من التجول في كنيسة سانت جون القريبة، والوقوف بفخر على درجاتها، ورفع الكتاب المقدس بيده إلى أعلى، على الرغم من أن المصورين كانوا يشككون في ضآلة الوقت الذي يقضيه بين صفحاته.

المعركة من أجل الكتاب المقدس في التاريخ الأمريكي

لفهم الكيفية التي يستخدم بها السياسيون الأثرياء، وجوقة المتطرفين التابعين لهم، السلطة في العام ٢٠٢٠، لابد لنا من النظر إلى دور الدين في حياة الأمريكيين، حيث تدور اليوم معركة ملحمية في سبيل الكتاب المقدس، وفي بلد تم التنازل عنه - بشكل كبير - للقوميين المسيحيين الإنجيليين البيض، إذ حصلت الشبكة، الممولة جيداً من الكنائس والمنظمات غير الربحية والجامعات ومراكز الفكر، والتي ترتبط بخطوط مباشرة مع كبار المسؤولين السياسيين، على تفويض مطلق لتحديد ما يتم تمريره للنقاش الديني في هذه البلاد، وإملاء ما تعنيه الأخلاق في المجتمع. وفي عهد ترامب، وصلت القومية الدينية هذه إلى ذروتها، إذ ترسخت حركة رجعية تضم المليارديرات التكنوقراط، ومبشري التلفزة، والميليشيات المسلحة، من خلال رسالة بسيطة: «الله يحب أمريكا المسيحية البيضاء، ويفضل الحكومات الصغيرة والشركات الكبرى، ويكافئ النزعة الفردية، والأعمال الحرة». وفي الوقت نفسه، يتم إلقاء اللوم على الفقراء والملونين والمهاجرين جراء المشاكل التي يواجهها المجتمع، حتى مع زيادة ثراء الأغنياء في بلد لا يزال الأغنى في تاريخ العالم

تعتبر الأخطار المتأتية عن القوميين المسيحيين اليوم حقيقة واضحة للعيان، إلا أن المعركة من أجل الكتاب المقدس، نفسها، ليست جديدة في أمريكا. ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، اقتبس مالكو العبيد من سفر فليمون وبعض السطور من رسائل القديس بولس للادعاء بأن الله شرّع العبودية، كما قاموا بتمزيق صفحات سفر الخروج من الأناجيل التي قدموها للمستعبدين. وخلال العصر الذهبي للقرن التاسع عشر، بشرت الكنائس والساسة، على حد سواء، بـ «إنجيل الازدهار» الذي يمجد فضائل الرأسمالية الصناعية. وبعد عقود، واصل أنصار الفصل العنصري استخدام النصوص التوراتية لتبرير ممارساتهم القائمة على قوانين جيم كرو - التي فرضت الفصل العنصري بموجب القوانين المحلية (١٨٧٦ — ١٩٦٥) في جميع المرافق العامة في الولايات الجنوبية - بينما ساعدت منظمة «الغالبية الأدبية» - التي تأسست في أواخر السبعينيات — على إدماج جيل جديد من المسيحيين المتطرفين في السياسة الوطنية. ولا تزال ماثلة في الأذهان ذكريات السياسيين الذين كانوا يقتبسون مقاطع من «رسائل إلى أهل تسالونيكي» (حيث يعبر القديس بولس عن قلقه لرفاهية أهل المدينة، ويشجعهم على المعاناة، ويطمئنهم إلى قرب المجيء الثاني للسيد المسيح، والذي كان يتوقع حدوثه في تلك المرحلة المبكر)، في الفترة التي سبقت إقرار قانون إصلاح الرعاية الاجتماعية، عام ١٩٩٦، كدليل على أن الله يؤمن بمتطلبات عمل برامج المساعدة العامة. ويعرف طلاب الدين والتاريخ أنه على الرغم من أن مثل هذه المعارك اللاهوتية غالباً ما تنحدر بشكل كارثي نحو العنف والحرمان والكراهية، إلا أن التفكير الديني المسيحي كان أيضاً عنصراً رئيسياً في التغيير الاجتماعي الإيجابي في أمريكا.

«الإشارة النفسية» للتطبيق السيء للدين»

كيف تم التلاعب بالكتاب المقدس لإخفاء قوته التحررية المحتملة؟ خاصة لجهة إساءة استخدام المقطع الأكثر شهرة عن الفقراء من «إنجيل متى»: «الفقراء سيكونون معنا دائماً».

كثيراً ما يجري الاقتباس من «إنجيل متى» لتبرير الفقر الأبدي الذي يقتصر تخفيف أثاره - في أحسن الأحوال - على الأعمال الخيرية، وليس على الحكومة. ولا يمر مثل هذا المنطق عبر العديد من المؤسسات الدينية، بما في ذلك ما يعرف الآن باسم «المسيحية الإنجيلية»، فحسب، ولكن أيضاً عبر الهيئات التشريعية، والمحاكم، والجيش، والمدارس، وغير ذلك. ولم يؤد ذلك إلى تشكيل عقول الشباب المسيحيين فحسب، بل وساعد على إضفاء مسحة روحانية على الفقر وترسيخه، وبرّر، ضمنياً، وحتى بشكل صريح، واقع عدم المساواة المتزايد في المجتمع الأمريكي. واليوم، أصبحت الفكرة القائلة بأن الفقر هو نتيجة سوء التصرف، أو الكسل، أو ارتكاب الخطيئة، وليس نتيجة قرارات تتخذها السلطة، هي السائدة في واشنطن في عهد ترامب والسيناتور ميتش ماكونيل؛ وباتت مقاطع الكتاب المقدس - كتلك الموجودة في «إنجيل متى» - أداة إيديولوجية أخرى يلوح بها الرجعيون والأثرياء لصرف الانتباه عن الإخفاقات المنهجية في أمريكا اليوم. ولنتمعّن، على سبيل المثال، في التطور التاريخي لما يُعرف غالباً باسم «حزام الكتاب المقدس»، أو بالأحرى «حزام الفقر» الذي يمتد من الجنوب، من نورث كارولينا، إلى ميسيسيبي، ومن تينيسي إلى ألاباما، موطن الفقراء من كل عرق، حيث يمثل أشد المناطق فقراً في الولايات المتحدة، والتي أصبحت كذلك، إلى حد ما، بسبب اللاهوت الهرطقي، والتفسير الخاطئ للكتاب المقدس، والقومية المسيحية.

تاريخ طويل يعود إلى أوائل المستوطنين المستعمرين في عصر العبيد، ويلتقي فيه الفقر والدين في منطقة «حزام الكتاب المقدس»، وتتردد أصداؤه من خلال قوانين جيم كرو الذي حكم المنطقة حتى نهاية سنوات الحقوق المدنية، والمفهوم السياسي الحديث لـ «الجنوب الصلب» (حيث قدمت ولايات الجنوب دعمها القوي للحزب الديموقراطي من العام ١٨٧٧، وحتى العام ١٩٦٤)، وهو تاريخ يكمن ضمن حدوده إرث وحشي من سياسة «فرق تسد» التي لا تزال تعمل على تسييس الكتاب المقدس، حتى يومنا هذا، من خلال الادعاء بأن الفقر ناتج عن الخطيئة مع الله، ويعلم الفقراء - البيض على وجه الخصوص - أنه على الرغم من أنهم قد يملكون القليل أو لا يملكون شيئاً، إلا إنهم على الأقل «أفضل» من الملونين.

كان مارتن لوثر كينغ أوضح، في نهاية المسيرة الدموية من سيلما إلى مونتغمري، في ألاباما، عام ١٩٦٥، سياسات الانقسام القديمة في المنطقة على هذا النحو: «إذا كان يمكن القول عن حقبة العبودية أن الرجل الأبيض أخذ العالم، وأعطى يسوع الزنجي، فيمكن أن يقال عن عصر إعادة الإعمار أن الطبقة الارستقراطية في الجنوب سيطرت على العالم، وأغلقت أفواه الفقراء البيض بقانون جيم كرو. وعندما صرخت معدته الخاوية طلباً للطعام الذي لا تستطيع جيوبه الفارغة توفيره، أخبره جيم كرو أنه على الأقل، وبغض النظر عن مدى سوء حالته، رجل أبيض، أفضل من الملون».

هذا «المفعول النفسي» معالج ومطبوخ في خليط من العلوم العنصرية الزائفة، والأرثوذكسية الاقتصادية، والتطبيق السيئ للدين؛ وقد استطاع الحفاظ على قوته الهائلة - إلى حد كبير- باستخدام الكتاب المقدس لشرعنة النهب والمعاناة البشرية على نطاق واسع. ولربما لم يعد جيم كرو موجوداً، لكن تاريخه يطارد أمريكا حتى يومنا هذا، ولا يزال الكتاب المقدس يُستخدم كسلاح لتوطيد السياسة العنصرية ضد الفقراء والبيض.

ومع استمرار اختفاء الوظائف والفرص، لا يزال الكتاب المقدس، بغض النظر عن تفسيره، يؤثر على الحياة اليومية لملايين الأمريكيين، وتؤثر طريقة فهمه على الاتجاه السياسي والأخلاقي للبلاد، مع العلم أن ولايات «الحزام المقدس» - حيث تسود القومية المسيحية التي تستخدم الإنجيل على طريقتها - تمثل أكثر من ١٩٣ صوتاً من أصوات الهيئة الانتخابية، وبالتالي ستلعب دوراً رئيسياً في تحديد مصير ترامب ومايك بنيس في تشرين الثاني.

في حزيران ٢٠١٩، وخلال جلسة استماع في لجنة الموازنة، في مجلس النواب، لبحث الواقع الاقتصادي للأسر المتعثرة، تمت دعوة مجموعة متنوعة عرقياً وجغرافياً ممن يدعون أنهم قادة حملة الفقراء للإدلاء بشهاداتهم، وكان هناك من بينهم اثنان من القساوسة الملونين دعاهم أعضاء الكونغرس الجمهوريون للوقوف كنماذج على أن الإيمان والعمل الجاد هو الوصفة الوحيدة لحياة جيدة ومستقرة للفقراء.

طرح البعض، خلال الجلسة، ما أطلق عليه «الميزانية الأخلاقية للفقراء»، وهي دراسة تظهر أن الولايات المتحدة لديها من الأموال ما يكفي لإنهاء الفقر والجوع والتشرد، ولكنها لا تملك الإرادة

السياسية للقيام بذلك. ولكن سرعان ما تحوّل أعضاء اللجنة إلى الصور النمطية ذاتها عن أسباب الفقر في أمريكا الغنية، واستشهد آخرون بالفشل المفترض للحرب على الفقر في الستينيات كدليل على أن برامج الارتقاء الاجتماعي غير فعّالة، متجاهلين الطريقة الدراماتيكية التي قوض بها السياسيون تلك المبادرات في السنوات التي تلت ذلك. كان هؤلاء يروجون للاهوت هرطقي يدعي أن الناس يعانون من الفقر لأنهم - إلى حد كبير- بعيدون عن الله، ويفتقرون إلى إيمان عميق بيسوع. في الواقع، كانوا يحرفون ما يقوله الكتاب المقدس عن الفقراء. وعلق نائب جمهوري بأنه لم يقرأ في الإنجيل أن «يسوع يطلب من قيصر الاهتمام بالفقراء»، بينما اقترح آخر أن الأعمال الخيرية المسيحية، وليس برامج الحكومة، هي المفتاح للتخفيف من حدة الفقر.

وقد يُفاجأ شخص ما بسماع الكثير من هؤلاء وهم يبحثون عن غطاء ديني لدعاواهم السياسية، ولكن الجميع يعرف أن النصوص الدينية تحضّ فعلياً على الاهتمام بالفقراء والمحرومين، وأن من هم في السلطة الأمريكية يسعون إلى إساءة استخدام التقاليد الدينية المسيحية وتشويهها. وتلك هي، بطبيعة الحال، صيغة حقبة ترامب، حيث جمع ٦٤٣ أمريكياً ٨٤٥ مليار دولار إضافية، خلال الأشهر الستة الماضية من وباء كورونا، ما رفع ثروتهم مجتمعة بنسبة ٢٩٪، في وقت تضاعفت أعداد الأمريكيين الأكثر فقراً في أوساط البروتستانت الإنجيليين. ولن يكون مفاجئاً أن نعلم أن خرائط الفقر تتداخل بشكل كامل تقريباً، وبشكل رئيسي في منطقة «حزام الكتاب المقدس»، ولكن أيضاً في الغرب الأوسط والولايات الوسطى، وحتى في أجزاء من الشمال الشرقي والغرب، بمعنى أن هناك ارتباطاً متزايداً بين المعركة من أجل حقوق التصويت والرعاية الصحية، وغيرها من المصادر بالغة الأهمية، بالمعركة من أجل الكتاب المقدس. وتُقاس الرهانات بصحة الأمة بأكملها، لأن السياسيين الذين يتلاعبون بالكتاب المقدس والحق في التصويت للفوز بالانتخابات يمررون سياسات وميزانيات غير أخلاقية.

ورغم كل شيء، وفي كل فصل من فصول التاريخ الأمريكي، كان دعاة إلغاء الرق، والعمال، ومنظمو العمال، وقادة الحقوق المدنية، وممثلون آخرون للمضطهدين، يكافحون من أجل أمة أفضل، ليس فقط في الشوارع وأماكن العمل، بل وأيضاً في المنابر. واليوم، وفي حطام اللحظة الترامبية الراهنة، مع الصعود المتزايد للقومية البيضاء الفاشية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يجب أن يتمتع بنيس والقوميون المسيحيون الآخرون بسلطة تعريف المسيحية إذا كانوا عازمين جداً على «تثبيت أعينهم على المجد القديم»؟ ألا يجب عليهم أيضاً أن يصوّبوا أعينهم على ما قاله يسوع السيد المسيح بالفعل؟

٣ أوبئة سابقة أدت إلى تحولات مجتمعية هائلة..

كيف يمكن للمرض أن يكون محركاً مهماً لتاريخ البشرية!!

أندرو لاثام. أستاذ العلوم السياسية في كلية ماكاليستر/ كندا
"البعث الأسبوعية" ـ ترجمة

قبل شهر آذار من هذا العام، ربما كانوا قلة أولئك الذين يعتقدون أن المرض يمكن أن يكون محركاً مهماً لتاريخ البشرية ولكن الأمر لم يعد كذلك بعد الآن، فقد بدأ البشر يدركون أن التغييرات الصغيرة التي أحدثها فيروس كورونا بالفعل، أو سرّع بها - الطبابة عن بعد، والعمل عن بعد، والتباعد الاجتماعي، وموت المصافحة، والتسوق عبر الإنترنت، والاختفاء الافتراضي للنقود، وما إلى ذلك - بدأت في تغيير مسار حياتهم وقد يكونون غير متأكدين ما إذا كانت هذه التغييرات ستعمّر بعد الوباء، وقد يكونون غير متأكدين ما إذا كانت هذه التغييرات جيدة أم سيئة.

ولكن يمكن لثلاث جوائح سابقة أن تقدم بعض القرائن حول الطريقة التي قد يؤدي بها كوفيد-١٩ إلى ثني قوس التاريخ. وبينما أقوم بتدريس مقرّري الأكاديمي "الأوبئة والأوبئة والسياسة"، تميل الأوبئة إلى تشكيل الشؤون الإنسانية من خلال ثلاث طرق: أولاً، يمكنها تغيير نظرة المجتمع الأساسية للعالم بشكل عميق، وثانياً، يمكنها قلب الهياكل الاقتصادية الأساسية، وأخيراً، يمكنها التأثير في صراعات السلطة بين الدول.

المرض يحفّز صعود الغرب المسيحي

يُعتقد الآن على نطاق واسع أن الطاعون الأنطوني، وتوءمه، الطاعون القبرصي - كلاهما نتج عن سلالة الجدري - دمرا الإمبراطورية الرومانية من سنة ١٦٥ إلى سنة ٢٦٢ ميلادية. وتشير التقديرات إلى أن معدل وفيات هذين الوباءين مجتمعين يتراوح من الربع إلى الثلث بين سكان الإمبراطورية.

وفي حين أن عدد الوفيات كان مذهلاً، إلا أنه لا يروي سوى جزء من القصة، فقد أدى ذلك أيضاً إلى تحول عميق في الثقافة الدينية للإمبراطورية الرومانية.

لقد كانت الإمبراطورية وثنية عشية الطاعون الأنطوني، وعبدت الغالبية العظمى من السكان العديد من الآلهة والأرواح، واعتقدوا أن الأنهار والأشجار والحقول والمباني لها روحها الخاصة. أما المسيحية، الديانة التوحيدية التي لم تشترك كثيراً مع الوثنية، فقد كانت تعد ٤٠ ألفاً فقط، أي ما لا يزيد عن ٠,٠٧٪ من سكان الإمبراطورية. ومع ذلك، في غضون جيل من نهاية الطاعون القبرصي، أصبحت المسيحية الديانة السائدة في الإمبراطورية.

كيف أثر هذا الوباء المزدوج على ذلك التحول الديني العميق؟

يجادل رودني ستارك، في عمله الأساسي "صعود المسيحية"، بأن هاتين الجائحتين جعلتا المسيحية منظومة عقائدية أكثر جاذبية، ففي حين أن المرض كان غير قابل للشفاء، بشكل فعال، فإن الرعاية الأولية التلطيفية - توفير الغذاء والماء، على سبيل المثال - يمكن أن تحفز على تعافي أولئك الذين لا يستطيعون رعاية أنفسهم. وبدافع من الأعمال الخيرية المسيحية وأخلاقيات رعاية المرضى - تم تمكينها من خلال الشبكات الاجتماعية والخيرية الكثيفة التي تم تنظيم الكنيسة الأولى حولها - كانت المجتمعات المسيحية في الإمبراطورية مستعدة، وقادرة على، تقديم هذا النوع من الرعاية.

من ناحية أخرى، اختار الرومان الوثنيون الفرار من تفشي الطاعون، أو عزل أنفسهم على أمل تجنب العدوى.

.. كان لذلك تأثيران:

أولاً، نجا المسيحيون من ويلات هذه الأوبئة بمعدلات أعلى من جيرانهم الوثنيين، وطوروا مستويات أعلى من المناعة بسرعة أكبر. ونظراً لأن العديد من مواطنيهم المسيحيين كانوا ينجون من الطاعون - ويعزون ذلك إما إلى النعمة الإلهية، أو إلى فوائد الرعاية التي يقدمها المسيحيون - انشدّ العديد من الوثنيين إلى المجتمع المسيحي ونظام المعتقدات الذي قام عليه. وفي الوقت نفسه، أتاح الاهتمام بالمرضى الوثنيين للمسيحيين فرصاً غير مسبوقة للتبشير.

ثانياً، يجادل ستارك بأنه نظراً لأن هذين المرضين أثرا بشكل غير متناسب على الشابات والحوامل، فإن معدل الوفيات المنخفض بين المسيحيين يُترجم إلى معدل مواليد أعلى.

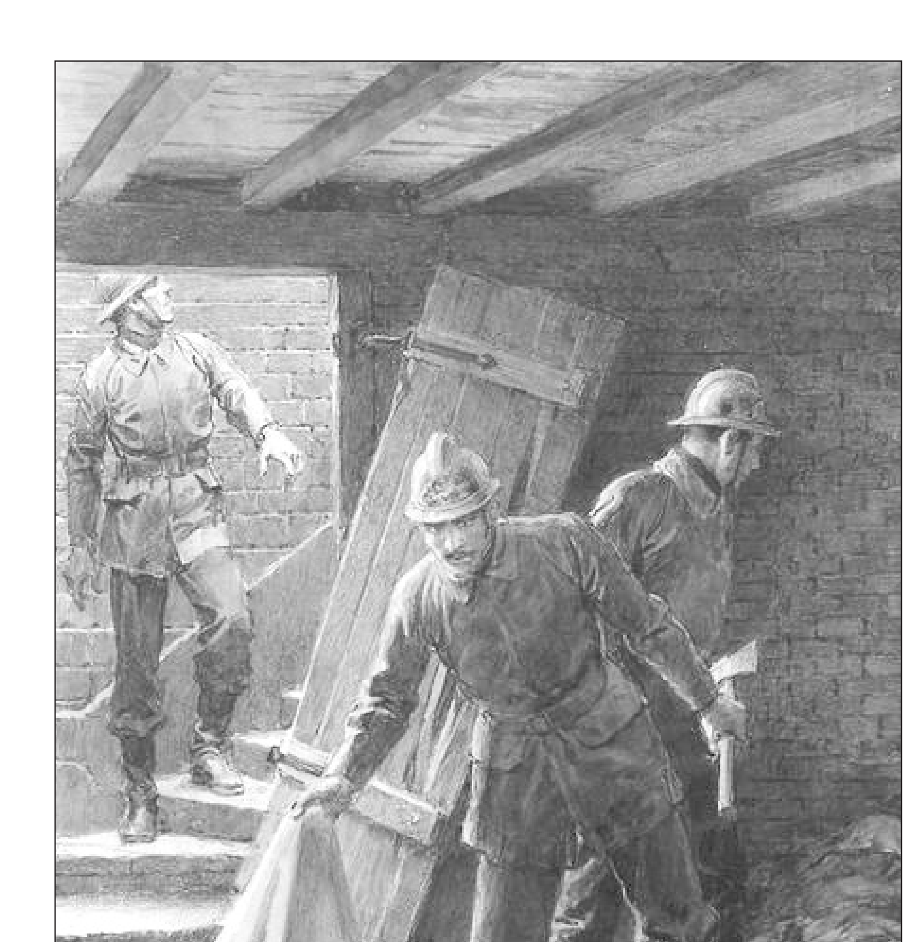
وكان التأثير النهائي لكل ذلك هو أنه، في غضون قرن تقريباً، وجدت إمبراطورية وثنية أساساً نفسها في طريقها إلى أن تصبح غالبية مسيحية.

وباء جستنيان وسقوط روما

وصل طاعون جستنيان، الذي سمي على اسم الإمبراطور الروماني الذي حكم من سنة ٥٢٧ إلى ٥٦٥ ميلادية، إلى الإمبراطورية الرومانية سنة ٥٤٢، ولم يختف حتى سنة ٧٥٥. وخلال قرنين من التكرار، أهلك نحو ٢٥٪ إلى ٥٠٪ من السكان - أي من ٢٥ مليون إلى ١٠٠ مليون شخص، مجتمعين.

أدت هذه الخسائر الفادحة في الأرواح إلى شلل الاقتصاد، ما أدى إلى أزمة مالية استنفدت خزائن الدولة، وأعاقت جيش الإمبراطورية الذي كان قوياً في يوم من الأيام.

في الشرق، كان الطاعون قد دمّر بلاد فارس الساسانية، المنافس الجيوسياسي الرئيسي لروما، ولم تكن، بالتالي، في وضع يسمح لها باستغلال ضعف الإمبراطورية الرومانية. لكن قوات الخلافة الراشدية الإسلامية في شبه الجزيرة العربية - التي احتلها الرومان والساسانيون لفترة طويلة - لم تتأثر إلى حد كبير بالطاعون. أسباب ذلك غير مفهومة جيداً، ولكن ربما كانت لها علاقة بالعزلة النسبية للخلافة عن المراكز الحضرية الرئيسية.



ولم يترك الخليفة أبو بكر الفرصة لتضيع، فاغتنمت قواته اللحظة، وسرعان ما غزت الإمبراطورية الساسانية بأكملها، بينما جردت الإمبراطورية الرومانية الضعيفة من أراضيها في بلاد الشام والقوقاز ومصر وشمال أفريقيا.

قبل الوباء، كان عالم البحر الأبيض المتوسط موحداً نسبياً من خلال التجارة والسياسة والدين والثقافة وكانت هناك ثلاث حضارات ممزقة تتنافس على السلطة والنفوذ: إسلامية في شرق وجنوب حوض البحر الأبيض المتوسط، وأخرى يونانية في شمال شرق البحر الأبيض المتوسط، وأوروبية بين غرب البحر الأبيض المتوسط وبحر الشمال. وهذه الحضارة الأخيرة - ما نسميه الآن أوروبا العصور الوسطى - تم تعريفها بنظام اقتصادي جديد ومميز.

قبل الطاعون، كان الاقتصاد الأوروبي قائماً على العبودية. بعد الطاعون، أجبر النقص الكبير في المعروض من العبيد مالكي الأراضي على البدء في منح قطع الأراضي للعمال "الأحرار" إسمياً - الأقنان الذين عملوا في حقول اللوردات، وفي المقابل، حصلوا على الحماية العسكرية وبعض الحقوق القانونية من اللورد.

لقد زرعت بذور النظام الإقطاعي.

الموت الأسود في العصور الوسطى

اندلع الموت الأسود في أوروبا عام ١٣٤٧، ليقتل إثر ذلك ما بين ثلث ونصف إجمالي سكان أوروبا، البالغ عددهم ٨٠ مليون شخص؛ ومع حلول الوقت الذي تلاشى فيه الوباء، أوائل خمسينيات القرن الثالث عشر، ظهر عالم حديث متميز - عالم محدد بالعمل الحر والابتكار التكنولوجي والطبقة الوسطى المتنامية.

قبل وصول بكتيريا يرسينيا الطاعونية في العام ١٣٤٧، كانت أوروبا الغربية مجتمعاً إقطاعياً مكتظاً بالسكان. وكانت العمالة رخيصة، والأقنان يمتلكون القليل من القدرة على المساومة، وكان الحراك الاجتماعي في وضع حرج، ولم يكن هناك حافز يذكر لزيادة الإنتاجية.

لكن فقدان الكثير من الأرواح هز المجتمع المتحجر.

أعطى النقص في العمالة الفلاحين المزيد من القوة التفاوضية. وفي الاقتصاد الزراعي، شجعوا أيضاً على التبني الواسع النطاق للتقنيات الجديدة والقائمة - المحراث الحديدي، ونظام دوران المحاصيل ثلاثي الحقول، والتخصيب بالسماد، وكلها أدت إلى زيادة الإنتاجية بشكل كبير. خارج الريف، نتج عن ذلك اختراع أجهزة توفير الوقت والعمالة، مثل المطبعة ومضخات المياه لتصريف المناجم وأسلحة البارود.

في المقابل، شجع التحرر من الالتزامات الإقطاعية، والرغبة في الارتقاء في التراتبية الاجتماعية، العديد من الفلاحين على الانتقال إلى المدن والانخراط في الحرف والتجارة. أصبح الأكثر نجاحاً أكثر ثراءً، وشكلوا طبقة وسطى جديدة، وأصبح بإمكانهم الآن شراء المزيد من السلع الكمالية التي لا يمكن الحصول عليها إلا من خارج حدود أوروبا. وقد حفز هذا كلاً من التجارة البعيدة والسفن ثلاثية الصواري الأكثر كفاءة اللازمة للانخراط في هذه التجارة.

كما حفزت الثروة المتزايدة للطبقة الوسطى الجديدة رعاية الفنون والعلوم والأدب والفلسفة. وكانت النتيجة انفجاراً في الإبداع الثقافي والفكري، أو ما نسميه الآن عصر النهضة.

مستقبلنا الحالي

لا شيء من ذلك يعني أن وباء كوفيد-١٩، الذي لا يزال مستمراً، ستكون له نتائج مدمرة مماثلة. لا يشبه معدل وفيات كوفيد-١٩ معدل وفيات الأوبئة التي تمت مناقشتها أعلاه، وبالتالي قد لا تكون العواقب زلزالية، لكن هناك بعض الدلائل على احتمال حدوث ذلك.

فهل ستتمكن الجهود المتعثرة للمجتمعات الغربية المنفتحة من السيطرة على الفيروس الذي يحطم الإيمان المتذبذب، فعلياً، بالديمقراطية الليبرالية، ما يخلق مساحة للأيديولوجيات الأخرى للتطور والانتشار؟

بطريقة مماثلة، قد يؤدي فيروس كورونا كوفيد-١٩ إلى تسريع التحول الجيوسياسي الجاري بالفعل في ميزان القوى بين الولايات المتحدة والصين. فقد أمسكت الصين، خلال الوباء، بزمام المبادرة عالمياً في تقديم المساعدة الطبية إلى البلدان الأخرى، كجزء من مبادرة "طريق الحرير الصحي". ويجادل البعض بأن الجمع بين فشل أمريكا في القيادة والنجاح النسبي للصين في التقاط الركود قد يكون دافعاً صاروخياً للصين إلى موقع الريادة العالمية.

أخيراً، يبدو أن كوفيد-١٩ يعمل على تسريع تفكك أنماط وممارسات العمل الراسخة، مع تداعيات يمكن أن تؤثر على مستقبل الأبراج المكتبية والمدن الكبرى والنقل الجماعي، على سبيل المثال لا الحصر. وقد تثبت الآثار المترتبة على ذلك، والتطورات الاقتصادية ذات الصلة، أنها تحولات عميقة مثل تلك التي أحدثها الموت الأسود في عام ١٣٤٧.

في نهاية المطاف، فإن العواقب طويلة المدى لهذا الوباء - مثل جميع الأوبئة السابقة - هي ببساطة غير معروفة لأولئك الذين لا بدّ أن يمروا بها. ولكن مثلما صنعت الأوبئة الماضية العالم الذي نعيش فيه حالياً، فمن المحتمل أيضاً أن يعيد هذا الطاعون صنع العالم الذي سيسكنه أحفادنا وأبناء أحفادنا.

.. مرحلة ثانية في برنامج الإفلاس

"البعث الأسبوعية" ـ ترجمة: علي اليوسف

بعد الإعلان عن "الموجة الثانية" من كوفيد-١٩، بدأت حملة التخويف تجتاح معظم أوروبا، وبدأ معها الملايين بالاصطفاف لإجراء اختبار كوفيد-١٩. الاختبار ليس وحده ما يقلق هؤلاء، بل الإجراءات الصارمة المتوقع تطبيقها، كرسم المناطق الحمراء، وحظر السفر، والحجر الصحي، وتقييد التجمعات، وإغلاق المطاعم، والشلّ الكامل للمجتمع.

ومنذ بداية أزمة كوفيد، في كانون الثاني الماضي، تم تبرير القرارات التي اتخذتها منظمة الصحة العالمية والحكومات الوطنية بأن هناك مرضاً مميتاً جديداً نشأ في ووهان سينتشر في جميع أنحاء العالم، اسمه "فيروس كورونا". لكن، مع مرور الأيام، أكدت التحاليل العلمية أن تقديرات المنظمة كانت معيبة، لأن الاختبارات لا تكشف أو تحدد الفيروس، لذلك غالباً ما يتم التلاعب بالأرقام لتبرير القرارات السياسية. علاوة على ذلك، لم يتم إصدار دراسات رسمية تؤكد التعرف على فيروس كورونا.

الكذبة الكبرى

وحسب معظم التقديرات العلمية، فإن كورونا ليس فيروساً قاتلاً، وحملة التخويف لا أساس علمياً لها. وحتى اختبار PCR القياسي لـ "اكتشاف" الفيروس، لا يمكنه التعرف على الفيروس. لذلك تستخدم الحكومات التي تدعي أنها "تحمينا" إحصائيات لا معنى لها، ومُتلاعب بها، لتبرير فرض الخطوط الحمراء.

في أوائل كانون الثاني ٢٠٢٠، تم تحديد ما يسمى بفيروس كورونا، والذي يسبب مرض كوفيد-١٩. تم إعطاؤه اسماً مشابهاً لفيروس سارس—CoV٢، أي فيروس "كورونا بيتا" الذي يسبب المتلازمة التنفسية الحادة (سارس).

ووفقاً لعالم المناعة الشهير الدكتور بيدا ستادلر، من جامعة برن، "يرتبط الفيروس الجديد ارتباطاً وثيقاً بـ سارس-١، بالإضافة إلى الفيروسات التاجية "بيتا" الأخرى التي تجعلنا نعاني منه كل عام على شكل نزلات البرد". ويطرح ستادلر أيضاً السؤال التالي: هل هذا فيروس جديد، أم تحور لفيروس موجود يشبه فيروسات "كورونا بيتا" الباردة؟

وفقاً لدراسة حديثة أجراها كل من تسانيوك لام، ونام جيا، وآخرون، من المعهد المشترك لعلم الفيروسات، وجامعتي شانتو وهونغ كونغ فإن فيروس سارس-٢ "- يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمجموعة من فيروسات كورونا الشبيهة بالسارس".

كما تقر دراسات الدكتور أنتوني فوسي وآخرين في مجلة "نيو إنغلاند" الطبية، وكذلك منظمة الصحة العالمية، بأن كوفيد-١٩ له سمات مشابهة للأنفلونزا الموسمية "الفيروسان A وB"، ما يعني أن سارس-٢" الذي يسبب كوفيد-١٩" ليس فيروساً قاتلاً.

عودة إلى ١١ آذار

في ١١ آذار ٢٠٢٠، أعلنت منظمة الصحة العالمية رسمياً انتشار جائحة عالمية في وقت كان هناك ١٨,٠٠٠ حالة مؤكدة، و٤٢٩١ حالة وفاة من إجمالي عدد سكان العالم، خارج الصين، والبالغ ٦,٤ مليار نسمة. علام تدلنا هذه "الإحصائيات"؟ تم تقدير معظم "الحالات الإيجابية" المؤكدة باستخدام اختبار PCR الذي لا يكتشف أو يحدد الفيروس.

وفور إعلان منظمة الصحة العالمية في ١١ آذار، انطلقت حملة التخويف إلى أقصى درجاتها. تم إرسال تعليمات "الحجر" إلى ١٩٣ دولة عضو في الأمم المتحدة. وتم التمسك بالإغلاق التام للاقتصاديات الوطنية كوسيلة لحل أزمة الصحة العامة. هل كان هذا القرار مبرراً كوسيلة لمكافحة الفيروس؟ هل "أعداد" (الحالات المؤكدة) تبرر حدوث جائحة عالمية؟

لا سابقة لهذا "الحبس" العالمي في التاريخ، لأنه إضافة إلى إرغام الناس على البقاء في المنازل، أدى هذا "الحبس الجماعي" إلى زعزعة استقرار قطاعات كاملة من الاقتصاد العالمي، ودفع الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم إلى الإفلاس، وتفشي البطالة والفقر، واندلاع المجاعات في بعض البلدان.

الهدف من الموجة الثانية

تشكل هذه الموجة "المرحلة الثانية" في برنامج الإفلاس الذي يستهدف اقتصاد الخدمات، والنقل الجوي، وصناعة السياحة، وتجارة التجزئة، إلخ. وتستند القرارات المقبلة إلى تقدير الحالات الإيجابية لـ كوفيد-١٩، ناهيك عن التلاعب بنتائج الاختبار.

والحقيقة العلمية أن الاختبار القياسي المستخدم لاكتشاف وتحديد سارس-٢ حول العالم هو اختبار تفاعل النسخ العكسي للبوليميراز المتسلسل PCR، والذي يستخدم لتقدير وجدولة عدد حالات كوفيد-١٩ الإيجابية المؤكدة. ووفقاً للدكتور كاري موليس الحائز على جائزة نوبل، الذي اخترع اختبار PCR، "يكشف تفاعل PCR عن جزء صغير جداً من الحمض النووي الذي يعد جزءاً من الفيروس نفسه. ويتم تحديد الجزء المحدد المكتشف عن طريق الاختيار إلى حد ما لبادئات الحمض النووي المستخدمة، والتي تصبح نهايات الجزء المضخم. والكشف عن الفيروسات بواسطة PCR مفيد طالما يمكن فهم دقته، فهو يوفر القدرة على اكتشاف الحمض النووي بكميات دقيقة، ولكن ما إذا كان هذا الحمض النووي يمثل فيروساً معدياً قد لا يكون واضحاً". ووفقاً لعالم المناعة السويسري الشهير الدكتور بـ ستادلر فإن "اختبار PCR المطبق فيما يتعلق بـ كوفيد-١٩ لا يكتشف الفيروس، أو يحدده، فما يكتشفه أجزاء من عدة فيروسات". لذلك، إذا أجرينا اختبار PCR على شخص مناعي، فلن يكون هناك فيروس يتم اكتشافه، بل جزء صغير من جينوم الفيروس"، ووفقاً للدكتور باسكال ساكر فإن هذه الاختبارات "تكشف عن الجزيئات الفيروسية والتسلسل الجيني وليس عن الفيروس بأكمله". وما يعنيه ذلك هو أن اختبار PCR لا يمكنه اكتشاف أو تحديد كورونا. ما يكتشفه هو شظايا، ما يشير إلى أن "تفاعل PCR لا يمكن أن يعادل ما يسمى بـ كوفيد-١٩ الإيجابي.

سيقوم اختبار PCR بالتقاط شظايا من عدة فيروسات، بما في ذلك فيروسات كورونا، وكذلك الأنفلونزا (A وB)، في حين أن سارس-٢ الذي يسبب كوفيد-١٩ يعتبر مشابهاً لـ سارس- ، فإن له أعراضاً مشابهة للأنفلونزا الموسمية (الفيروسان A وB). علاوة على ذلك، تشبه بعض أعراضه الأكثر اعتدالاً أعراض فيروسات كورونا الباردة الشائعة. ووفقاً لمراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها: "في بعض الأحيان، يتم اختبار إفرازات الجهاز التنفسي لمعرفة الجراثيم المحددة التي تسبب الأعراض. إذا تم اكتشاف أنك مصاب بفيروس كورونا الشائع، فهذا لا يعني أنك مصاب بفيروس كورونا الجديد لعام ٢٠١٩. هناك سبعة فيروسات كورونا [بشرية] يمكن أن تصيب الناس، الأربعة الأولى منها (ألفا، بيتا) مرتبطة بنزلات البرد.

بعبارة أخرى، إن التقديرات المنشورة لإيجابية كوفيد-١٩، الناتجة عن اختبار PCR، لدعم فرضية الموجة الثانية، غالباً ما تكون مضللة، ولا يمكن استخدامها لقياس انتشار كورونا. وهناك، حالياً، وقت كتابة هذا التقرير (وفقاً لإحصائيات منظمة الصحة العالمية) قرابة ٣٣ مليون حالة توصف بأنها "حالات مؤكدة"، ومليون حالة وفاة، فهل هذه التقديرات "الإيجابية" لفيروس كوفيد-١٩، والتي تعتمد في جزء كبير منها على اختبار PCR، موثوقة؟

إن الجمهور يعتقد أن هناك "موجة ثانية"، وأن الحكومة موجودة لإنقاذ الأرواح من خلال التباعد الاجتماعي، وقناع الوجه، وإغلاق النشاط الاقتصادي، وشلل النظام الصحي الوطني، وإغلاق المدارس والجامعات. إنها كذبة كبيرة، وعندما تصبح الكذبة هي الحقيقة، لا رجوع إلى الوراء.



"البعث الأسبوعية" ـ ناصر النجار

عُقد المؤتمر السنوي لاتحاد كرة القدم يوم السبت الماضي في قاعة المحاضرات في مبنى الاتحاد بمدينة الفيحاء. المؤتمر بشكله العام كان روتينياً كلاسيكياً لا يقدم ولا يؤخر، وإقامته جاءت من باب تنفيذ البرامج الموضوعة مسبقاً من القيادة الرياضية، حيث حافظ على شكله التقليدي من خلال برنامج عمله، والاستماع إلى الطروحات، والإجابة على التساؤلات، دون أن يتمخض عنه شيء، لأن تفاصيل النشاط الكروي جاهزة، والبرامج معدة سلفاً، وكل شيء على ما يرام، فماذا سيغيّر هذا المؤتمر؟

بداية، أتى انعقاد المؤتمر في موعده غير المناسب، لأنه جاء بعد بدء الموسم الكروي الجديد، فدوري شباب الممتاز انطلق، ومباراة السوبر أقيمت، والدوري الممتاز أعلن صافرة البداية، فيما المفترض أن ينعقد المؤتمر قبل فترة كافية من انطلاق الموسم حتى يتمكن اتحاد اللعبة من تنفيذ توصيات المؤتمر واقتراحات الأعضاء، لذلك فإن أي شيء سيتمخض عنه المؤتمر سيكون طي الأوراق والمكاتب، وسيطوله النسيان، أو ربما الإهمال، لأنه جاء بغير موعده!



نصف فقرات المؤتمر جاءت على شكل استعراض عضلات، من خلال الحديث عمّا تم إنجازه خلال الموسم الماضي وسط صعوبات جمة بعد تفشي وباء كورونا. وإن كان هناك تقصير بشيء ما، فالمتهم كورونا، لذلك سيلصق كل خلل وتقصير بظهره، وتقيد كل القضايا الشائكة ضد مجهول.

وهناك الشأن المالي، وتدقيق الحسابات، وهو أمر روتيني بحت خارج الاهتمام والمساءلة، لأنهم عودونا على عدم التدخل في هذه المسائل المالية بوجود جهات رقابية، وتناول أية قضية مالية في المؤتمرات – ولو كانت صغيرة – يعتبر من المحرمات، وهو خط أحمر!

المفهوم الخاطئ

المؤتمر الخاص بأية لعبة هو السلطة التشريعية لها، أي أن مقرراته ملزمة وواجبة التطبيق، وأي تعديل فيها أو تغيير يحتاج إلى مؤتمر، لكننا اعتدنا أن نسحب هذه الصلاحية من المؤتمرات، وأن ننفذ ما نريده، فنشطب ما لا يعجبنا بجرة قلم، ونمرر ما هو بمصلحتنا بكتاب أو تعميم دون الرجوع إلى المشرع.

ورغم أن من أهم صلاحيات المؤتمر منح الشرعية للاتحاد، أو حجب الثقة عنه، إلا أن هذا الأمر غير وارد، ولا يطبق، ولن يطبق، وهو من الخطوط الحمراء أيضاً.

لكن المؤتمر قادر على منح الشرعية لكل المقررات السابقة واللاحقة، عبر رفع الأيدي بالموافقة، وهكذا يتم صوغ كل شيء تجنباً لأية مساءلة قانونية ومن هنا، نجد أن كل المراجعات والمقترحات تغيب لأننا اعتدنا أن القائمين على العمل هم القادرون على القيادة وإصدار القرارات، وأعضاء المؤتمر مهمتهم الموافقة ولا شيء غير ذلك.

ومثالنا الحاضر موجود هذا الموسم، فاتحاد كرة القدم أعدّ كل شيء: شكل المسابقات ومواعيدها وأسلوب تنفيذها! بل وانطلق بعضها، والكلام نفسه ينطبق على بقية اللوائح التي تخص الانضباط والعقوبات، أو التي تعنى بشؤون اللاعبين، فماذا سيعمل أعضاء المؤتمر سوى الموافقة؟

وإذا تجرأ أحدهم، وطرح رأياً أو مقترحاً نال من خلاله موافقة الأغلبية (وهذا أمر مستحيل لأنه مستبعد الحدوث)، فإننا سنكون أمام مشكلة كبيرة قد تؤجل الموسم كله.

شوائب عديدة

وإذا كانت الضرورات تبيح إجراء تعديلات جوهرية على شكل المسابقات لأسباب تتعلق بضغط النفقات والصرفيات، في ظل فقر مدقع تعيشه أندية الظل، فإن هذا الأمر لا ينطبق على لوائح الانضباط والعقوبات التي يجب أن تدرس بعناية، وأن تتماشى مع اللوائح الدولية، مع بعض التعديلات الضرورية التي تواكب ظروفنا وأحوالنا. لكننا نجد أن كل بنود هذه اللوائح إما لا تطبق، أو هي مطاطة من أجل التلاعب بالعقوبة أو الهروب منها؛ وللأسف فإن العقوبات الصادرة ليست مرتبطة بالبنود، إنما هي متعلقة بالشخص والنادي حسب هيمنة هؤلاء على مصنع القرار، لذلك فإن المدعومين والمتنفذين ينالون العقوبات الأخف، وغيرهم ينال أشد العقوبات على حالة مطابقة، ولا تستوجب التأويل والتفسير.

وعلى سبيل المثال، عوقب مدرب بالتوقيف سنة لأنه اعترض على حكم ظلم فريقه بركلة جزاء غير صحيحة، وغيره من مدربين ومدراء فرق وإداريين فعلوا الشيء ذاته فجاءت عقوبتهم خفيفة ومنطقية.

في الموسم الماضي والمواسم السابقة، تكررت حالة الانسحاب من المباريات لأسباب عديدة وفي كل الحالات هذه، لم يطبق اتحاد كرة القدم ما تقرره بنود اللائحة، وهي شطب نتائج النادي وهبوطه إلى الدرجة الأدنى، وفي حال التكرار شطب النادي كله، وأمام هذه الحالة يكتفي اتحاد كرة القدم بخسارة الفريق المنسحب لأنه غير مخول بقرار الهبوط أو الشطب، وهو من اختصاص القيادة الرياضية، فالمفترض ومن أجل حفظ ماء الوجه تعديل بنود هذه الفقرة بما يتناسب والصلاحيات الممنوحة لاتحاد كرة القدم.

ونود الإشارة هنا إلى أن لجنة المسابقات لم تستطع تمرير تعديلاتها على دوري الدرجة الأولى، رغم إعلانها عن هذه التعديلات بمؤتمر صحفي رسمي، ولم تستطع تمرير روزنامة النشاط الكروي، فنسف اتحاد كرة القدم كل التعديلات، وغيّر بعض المواعيد، وهذا يقودنا إلى أمرين اثنين، فإما أن تكون لجنة المسابقات قاصرة عن اتخاذ القرار الصحيح، وإما أن اتحاد كرة القدم يمارس هيمنته على كل القرارات، أو لنقل هيمنة من لهم تأثير على أصحاب القرار. وإذا كانت لجنة المسابقات لا تستطيع تمرير رؤيتها الفنية على شكل المسابقات وإجراء تعديلات وجدتها ضرورية، فكيف لأعضاء المؤتمر أن يمرروا رؤيتهم أو مقترحاتهم؟

أين الخلل؟

حتى الآن لم نصل في المؤتمرات إلى الغاية التي من أجلها أقيمت، فالعيب ليس بالمؤتمرات، فهي مهمة وضرورية، إنما العيب بمن يحضرها، ومن يلغي دورها الحقيقي. لذلك نجد أن الحل يكمن في شيئين اثنين: إما أن تلغى هذه المؤتمرات السنوية التي لا طائل منها ولا نجني منها إلا المزيد من الهدر والنفقات والصرفيات، أو أن تعاد لهذه المؤتمرات هيبتها فتقام وسط الأصول والغاية التي من أجلها وضعت، وأن يمارس أعضاء المؤتمر حقهم الكامل في الرأي والمقترح والنقد الإيجابي البناء بما يصب بمصلحة تطوير اللعبة. بعيداً عن المصالح الآنية.

أزرق الدير.. ٨ سنوات بلا مقر ولا جمهور والأمل معقود على الاتحاد الرياضي

«البعث الأسبوعية» ـ وائل حميدي

هو النادي الأسوأ حظاً بين الأندية السورية، وهو أيضاً النادي الوحيد الذي يواجه ظروفاً استثنائية وقاسية جداً، لتكون الغلبة لهذه الظروف حيناً، ثم النهوض من جديد لناد له تاريخٌ عريق بين الأندية السورية. هو الفتوة الآزوري المتّوَّج بطلاً للدوري الكروي مرتين، وهو حامل كأس الجمهورية لأربع مرات، وبطل كأس السوبر، والمتوَّج بطلاً لكأس الكؤوس المحلية، وهو بطل كأس سورية ولبنان، إنه باختصار هوية دير الزور وسفيرها الأقوى في المحافل الرياضية المحلية والعربية.

وهو أيضاً النادي الأضعف مادياً رغم تاريخه المشرِّف، والمحروم من امتلاك منشأة خاصة به، يلعب بلا موارد ثابتة، وبلا استثمارات تساعده على النهوض بأعباء الصرفيات التي كسرت ظهره كثيراً، فكانت النتيجة مغادرة بعض لاعبيه إلى أندية أخرى، واستغنائه عن آخرين لعدم القدرة على سداد قيمة عقودهم، وكانت النتيجة أيضاً هبوطه إلى دوري المظاليم، ثم لملمة الأنفاس والجِراح ليعود إلى مكانه الطبيعي رغم المخاوف التي ترافقه بين أندية الممتاز خشية الرسوب من جديد، ليكون له المراتب الوسطى، وما بعدها، في سلم الترتيب.

الفتوة، وبعد كل هذا السجل الحافل، يهبط ست مرات إلى دوري المظاليم، ومع ذلك ما زال محبّوه وجماهيره على العهد، متابعةً وتشجيعاً ودعماً، فقط لأنهم لم يعتادوا في الفارس الأزرق أن يكبو.



ناد بلا مقر

لعلّ وجع الآزوري الأكبر هو عدم تملّكه لمقرٍّ خاص به، وهنا يكون الحديث عن مقرين فقدهما الفتوة من حيث لا يدري: الأول وهو البناء المستأجر الذي لا يحقّ للنادي إقامة أي استثمارات على أرضه، والثاني وهو المنشأة الرياضية الضخمة التي بدأ العمل بها منذ عشرين عاماً، ومع ذلك لم يتمّ سوى إنجاز ٥٠ بالمائة من أعمال الصالة الرياضية فقط، ليبقى محيطها أرضاً جرداء لا تصلح سوى للأشواك وبعض المساحات الترابية ليمارس الهواة عليها شغفهم بكرة القدم

ومع ذلك – والحديث عن المقر قيد الإنشاء – فإن هذه الصالة غير المكتملة، وتلك الأرض الترابية الجرداء، لم تعد للفتوة، بناءً على قرار الاتحاد الرياضي العام بتبعية المنشأة له، وهو ما تؤكده تنفيذية دير الزور، ليكون الفتوة في واجهة الحقيقة بأنه لا يملك مقراً خاصاً به في محافظته.

صعوبات كثيرة

رئيس النادي محمد المشعلي تحدث لـ «البعث الأسبوعية» عن الصعوبات الكثيرة التي تواجه مسيرة العمل، فالفريق يلعب خارج أرضه منذ ثمانية مواسم، هبط خلالها إلى دوري المظاليم، ثم عاد إلى دوري الدرجة الممتازة بعدما تجاوز الكثير من الصعاب التي كانت سبباً لهبوطه، ومع ذلك لم يستطع خلال وجوده بين الكبار أن يقارعهم، ووجدنا أنفسنا في أواخر الترتيب، فكانت مهمتنا البقاء في الدرجة الممتازة والهروب بسرعة من شبح الهبوط.

ويستعرض المشعلي حقيقة عدم تملّك النادي لمقرٍّ خاص به، وبأن النادي لا يملك أي استثمارات من شأنها دعمه مادياً لسداد الكلفة الكبيرة المترتبة عليه، ما اضطر الإدارة لأن تدفع من مالها الخاص لسداد ما يمكن سداده، إضافة إلى كتلة التبرعات التي تصل إلى النادي من محبيه ومن مجلس الشرف في النادي.

وأردف المشعلي: مجلس الإدارة الحالي استلم زمام الفتوة خلال السنوات الأخيرة التي هبط فيها فريق رجاله إلى الدرجة الأولى، ثم عاد إلى دوري الأضواء. وذلك الهبوط ما كان ليكون لو أن أمور النادي عامةً في وضعها الطبيعي كأي نادٍ في الدوري، فانعدام الاستثمار تماماً وقلّة الموارد المالية ثانياً، وعدم لعبه على أرضه وبين جمهوره، وصعوبة تأمين الأوقات الكافية من الساعات التدريبية، كلها كانت كفيلة بالهبوط بل والبقاء في دوري المظاليم لولا الجهود المضنية التي بذلناها.

وعود منتظرة

ويؤكد المشعلي أن الاتحاد الرياضي العام وعد بأن يكون للنادي منشأة خاصة به، وحينها ستكون مسألة الاستثمار قابلة للتنفيذ، ما يساهم بدعم النادي بالمال، مضيفاً: الحقيقة أن إدارة النادي قامت مؤخراً برفقة مجلس الشرف بزيارة رئيس الاتحاد الرياضي العام، وأثمرت هذه الزيارة عن عدة مكاسب أهمها إعانة مالية فورية من قبل المكتب التنفيذي ومقدارها عشرة ملايين ليرة سورية، وتخصيص مقرٍ للنادي في مدينة الجلاء الرياضية، كما سيتمّ تزويد النادي بباص خاص بعد الانتهاء من أعمال صيانته، وفي تلك الزيارة وجَّه رئيس الاتحاد الرياضي بتزويد النادي بخمس وثلاثين كرة، وحجز أوقات تدريبية إضافية لفريق رجال الفتوة على أرض ملاعب الفيحاء، كما أن مجلس الإدارة أطلق ما سمّاه «النادي الاجتماعي» برئاسة مازن العاني، يتمّ من خلاله تقديم معونات مادية لأكثر من ألف عائلة في دير الزور.

ممكنة ولكن!

رئيس النادي كشف أن كل المحبين يريدون العودة إلى دير الزور ليكون للفتوة وضعه الطبيعي، شأنه في هذا شأن باقي الأندية، والأمر مرهون اليوم بجاهزية ملعب دير الزور البلدي في مدينة الشهيد باسل الأسد الرياضية، وحينها لا مبرر لبقاء النادي خارج أرضه، والاتحاد الرياضي العام يتابع مراحل التجهيز وإعادة تأهيل منشآت مدينة دير الزور الرياضية، مع أهمية تأمين عوامل كثيرة أخرى تحقّق عودة مُجدية للنادي ولعب مبارياته على أرضه، وأهمها العوامل التي يمكن تقديمها للفرق الزائرة كالملاعب التجريبية ومقرات الإقامة المناسبة والفنادق وما إلى ذلك.

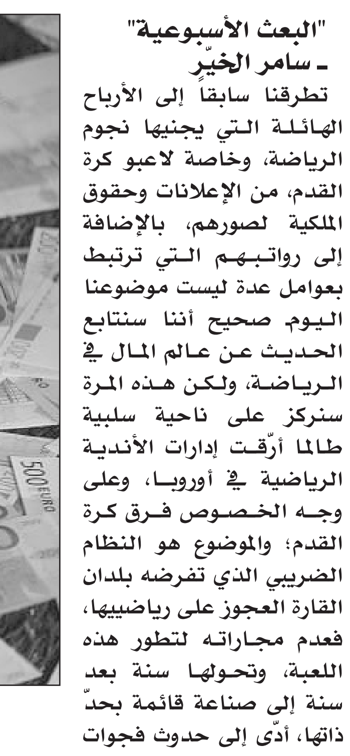
وعن جاهزية رجال الفتوة بكرة القدم هذا الموسم، يقول المشعلي: فور استلام زمام أمور النادي قُمنا بتشكيل كادر فني له مطلق الصلاحيات باختيار اللاعبين ضمن الإمكانات المتاحة، وحالياً يمتلك الفتوة فريقاً يجمع بين الخبرة والشباب، ونحن على ثقة بأن رجالنا قادرون على مقارعة الكبار، وبأن الفتوة سيكون رقماً صعباً يُعيد للنادي سمعته الحقيقية ومكانته الطبيعية ومن باب الاستعداد للدوري أقمنا معسكراً في مدينة اللاذقية تحضيراً للدوري للوقوف عند تشكيلة الفتوة الأساسية، وبغضّ النظر عن نتائج المباريات الودية التي أجريناها، فإن الهدف من إقامة المعسكر بلورة الرؤية نحو التشكيلة الأساسية التي ستمثّل الفتوة بين الكبار.

بين دمشق ودير الزور

وينهي المشعلي حديثه بالإشارة إلى أن أعضاء مجلس إدارة النادي قسَّموا جبهات العمل بين دير الزور والعاصمة، فقسم يتابع من دير الزور كل ما يتعلق بالنادي سعياً لمؤازرة ومتابعة فريق القواعد والبراعم الذين سيمثّلون مستقبل الفتوة الكروي، والقسم الآخر معنيّ بفريقي الرجال والشباب، وجميعنا على اطلاع تام بكافة التفاصيل، ما يتيح لنا اتخاذ القرارات الصحيحة والمتابعة والتنسيق بما يلزم مع اتحاد الكرة.

ويُقرُّ المشعلي بواقع الصعوبات التي يعاني منها النادي، وبأنها كبيرة وكثيرة وأهمها أن الفتوة يلعب خارج أرضه منذ سنوات ليُحرم في هذا من شريحة واسعة من محبّيه ومشجّعيه، وهذه الصعوبات لن تنتهي إلا بعودة منشأة النادي في مدينة دير الزور لمصلحة النادي، وفي هذا الإطار تمّ تكليف محام لمتابعة كل ما يتعلق بعودة المنشأة، وحينها سيكون الحديثُ مختلفاً تماماً.

النظام الضريبي في أوروبا..
تاريخ من السلبيات لمصلحة بعض الدوريات



"البعث الأسبوعية"
ـ سامر الخيِّر

تطرقنا سابقاً إلى الأرباح الهائلة التي يجنيها نجوم الرياضة، وخاصة لاعبو كرة القدم، من الإعلانات وحقوق الملكية لصورهم، بالإضافة إلى رواتبهم التي ترتبط بعوامل عدة ليست موضوعنا اليوم صحيح أننا سنتابع الحديث عن عالم المال في الرياضة، ولكن هذه المرة سنركز على ناحية سلبية طالما أرّقت إدارات الأندية الرياضية في أوروبا، وعلى وجه الخصوص فرق كرة القدم؛ والموضوع هو النظام الضريبي الذي تفرضه بلدان القارة العجوز على رياضييها، فعدم مجاراته لتطور هذه اللعبة، وتحولها سنة بعد سنة إلى صناعة قائمة بحدّ ذاتها، أدّى إلى حدوث فجوات بين الدوريات التي عدلت قوانينها ونظمها الضريبة، وبين تلك التي بقت تصمّ آذانها حتى وقت قريب عن الإتيان بأي تعديل.

فآلية عمل النظام الضريبي في بلدان الدوريات الأوروبية الكبرى يفرض اقتطاع نسبة من أرباح الرياضيين، سواء رواتبهم أم الأموال التي يحصلون عليها من بيع الصور والإعلانات التجارية، وكانت هذه النسبة تصل إلى مئة في المئة، لكن الحكومة البريطانية كانت سباقة في تقليل من هذه النسبة لتصل إلى النصف تقريباً، ما جعل "البريمبير ليغ" مقصد جميع نجوم كرة القدم لكن سرعان ما تبعها العديد من الحكومات لتبقى الحكومة الإيطالية آخر من قام بهذا التخفيض الذي شهدناه لأول مرة، هذا العام، في فترة الانتقالات الصيفية، ويعتبر قانون بيكهام أهم القوانين التي أدت إلى إدخال تعديلات جذرية على أغلب الدوريات. وكما هو واضح من اسمه، يرتبط قانون بيكهام باللاعب الإنكليزي السابق دافيد بيكهام الذي كان أول من استفاد من قرار الحكومة الإسبانية بتخفيض الضرائب المفروضة على الأجانب، ممن يحققون دخلاً سنوياً يساوي أو يفوق ٦٠٠ ألف يورو، وذلك تزامناً مع انتقاله إلى نادي ريال مدريد الإسباني، عام ٢٠٠٣، متقاضياً راتباً سنوياً يفوق هذا الرقم بكثير. وقد عمدت الحكومة الإسبانية وقتها إلى تقليص الضرائب المفروضة على الأجانب من ٤٥٪ يدفعها المواطن الإسباني إلى ٢٤٪ فقط يدفعها الأجانب الذين تفوق رواتبهم الـ ٦٠٠ ألف يورو لمدة ستة أعوام، والهدف طبعاً تحفيز الأجانب أصحاب الكفاءات- ليس فقط الرياضيّة - في مختلف المجالات، على القدوم إلى إسبانيا والإقامة على أراضيها، ليصار عام ٢٠١٠ إلى إلغاء هذا القانون في إسبانيا مع تأثر اقتصادها بالأزمة المالية العالمية، عام ٢٠٠٨، وتم استثناء اللاعبين الذين تنقضي عقودهم عام ٢٠١٥ من القرار، على غرار البرتغالي كريستيانو رونالدو مهاجم ريال مدريد، الذي يرجح أن يكون السبب الأساسي وراء تركه إسبانيا هو إلغاء قانون بيكهام.

وعلى عكس ما كان في الثمانينيات والتسعينيات، فإن انتقال الأسماء الوازنة لإيطاليا قد تراجع بشكل لافت في ظل الضائقة المالية التي تعاني منها كافة الأندية في البلاد، ما جعلها تقدم رواتب متواضعة تسببت برحيل اللاعبين الكبار وعزوفهم عن الانتقال إلى إيطاليا، إذ يصعب على نجم كبير أن يلعب ضمن صفوف نادٍ لا يمنحه راتباً كبيراً ويفرض عليه ضرائب باهظة.

وأمام العجز عن تقديم الرواتب السنوية الخيالية، جاء الحل بتقليص الضرائب المفروضة على النجوم لتحفيزهم على اللعب في إيطاليا، على غرار ما كان معمولاً به في إسبانيا، والذي ساهم بشكل كبير بانتقال الأسماء اللامعة لصفوف ناديي برشلونة وريال مدريد.

وبالفعل، تم توسيع المادة الخامسة في قانون الضرائب المالية، وسميت هذه الخطوة فيما بعد بمرسوم النمو، وهدفها أساساً عودة العقول، عبر نظام ضريبي مناسب منح لفئات معينة من أصحاب الشهادات لتشمل المهن الرياضية، وينصّ على السماح للطليان، أو الأجانب الذين يستقرون في إيطاليا بعد سنتين على الأقل في الخارج، ويلتزمون بالبقاء سنتين على الأقل ولمدة أقصاها خمس سنوات، الاستفادة من شروط ضريبية تفضيلية تصل إلى إعفاء على ٥٠٪ من دخلهم من الضرائب، فيما يبقى النصف الآخر خاضعا لضريبة بنسبة ٤٣٪. وقبل تعديل في اللحظة الأخيرة، كان من المتوقع خضوع ٣٠٪ فقط من العائدات للضرائب، وفي حالة لاعبي كرة القدم الذين يتم التفاوض بشأن رواتبهم الصافية، تبدو الأندية من أكبر المستفيدين، فمن المعلوم أن اللاعبين يحصلون على رواتبهم صافية بعد خصم الضرائب، حيث تقوم الأندية بتحمل الراتب إضافةً إلى الضريبة، وبذلك فإن النظام الجديد سيخفف من فاتورة الرواتب وضرائبها على الأندية، ويسهل عليها جذب لاعبين جدد للعب في صفوفها.

وسنأخذ صفقة انتقال الهولندي ماتياس دي ليخت إلى نادي يوفنتوس مقابل ٧٥ مليون يورو مثالاً، حيث سيوفر القانون على عملاق تورينو نحو ٤ ملايين يورو سنوياً، حيث ينال دي ليخت راتباً صافياً يبلغ ٨ ملايين يورو سنوياً، وكان بطل الدوري سيدفع ١٤ مليوناً إجمالياً فيما انخفض هذا المبلغ إلى ١٠ مليون يورو.

طبعاً، الحال نفسه ينطبق على المدربين، لكن على المستفيد من هذا القانون تسديد مساهمة تضامن بنسبة ٠,٥ في المئة من راتبه الخاضع للضريبة لتطوير كرة القدم لدى الشباب، ولا يمكن الجمع بين هذه الميزة الضريبية ونظام آخر يرجع تاريخه إلى العام ٢٠١٧، والذي يستفيد منه النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو القادم إلى يوفنتوس منذ موسمين، والذي يستفيد من ميزة تدعى الضريبة الثابتة، والتي تسمح للمكلّفين بدفع ضريبة ثابتة من العائدات المكتسبة في الخارج، على غرار عقود الرعاية، قدرها مائة ألف يورو سنوياً.

وفي فرنسا، تعتبر الضرائب من أكثر المواضيع إثارة للجدل، فقد حاولت الحكومة سابقاً رفع الضريبة بنسبة ٧٥٪ على أصحاب الدخل المرتفع ومن ضمنهم لاعبي كرة القدم، إلا أن هذا المقترح تم إلغاؤه من البرلمان، بعد احتجاجات واسعة، وسمي هذا المشروع بضرائب الأثرياء. أما في ألمانيا، فتبدو الأمور فيما يتعلق برواتب اللاعبين متوازنة نوعاً ما، وبالرغم من تميز لاعبي بايرن ميونيخ من ناحية الأجور، فإن باقي الأندية تبدو قريبة من بعضها البعض على الرغم من الثراء الفاحش لبعضها، وهذا يرجع لأن أغلب الأندية ملاّكها شركات أو مؤسسات لا تهتم كثيراً لرفع سقف الأجور، كما أن الدوري الألماني بشكل عام لديه قاعدة شبه متفق عليها هي الابتعاد عن الصفقات الجنونية والتعاقدات الخرافية، خاصة من خارج الدوري، ومسألة العقود أو كشف رواتب المدربين أيضاً تعتبر من الأسرار الكبرى التي يحافظ على سريتها كلا الطرفين اللاعب والنادي.

وطبعاً، لا تخلو الرياضة كغيرها من فضائح التهرب الضريبي رغم كل التعديلات ومحاولات الإنصاف بين الحكومات والأندية بما يعم بالفائدة على الاثنين ويؤدي بالدرجة الأولى إلى تطور الرياضة، التي ثبت في السنوات الأخيرة أنها من أهم سبل رفع الدخل القومي للبلدان؛ وأهم هذه الفضائح تلك التي يكون أبطالها نجوماً من الصفّ الأوّل، كقطبي كرة القدم في السنوات العشر الأخيرة: الأرجنتيني ليونيل ميسي، والبرتغالي كريستيانو رونالدو؛ فكلنا نذكر حكم القضاء الإسباني على أفضل لاعب في العالم ست مرات بالسجن لـ ٢١ شهراً بتهمة التهرب من دفع ضرائب بقيمة ٤,٣ مليون يورو، وما إن انتهت قضية البرغوث حتى تم تفجير فضيحة أكبر بخصوص الدون الذي اتّهم رسمياً بالتهرب من دفع ١٤,٧ مليون يورو، وانتهت القضيتان بالتوصل لاتفاق دفع من خلاله كل لاعب مقابلاً مادياً أعلى من ذلك الذي تهربا من دفعه، مقابل الحكم بمدة سجن أقل من ٢٤ شهراً، وهي المدة التي تعفيهم من دخول السجن في حال عدم وجود اتهامات سابقة بحقهم

تعاقدات اللاعبين بمئات الملايين
وكثرة الأموال تثير الاستغراب

"البعث الأسبوعية"
ـ عماد درويش

تشهد الساحة الرياضية منذ فترة جنوناً كبيراً لم تعرفه عبر تاريخها في أسعار ورواتب اللاعبين في الدوري المحلي لكرتي القدم والسلة، بدعم وتمويل من رجال أعمال وداعمين، حيث يتم تداول أخبار عن عقود لاعبين كثيرين بعشرات ملايين الليرات، ولربما تصل لمئة مليون ليرة للاعب الواحد، لتثير هذه المسألة حفيظة واستغراب الكثير من محبي وعشاق الرياضة المحلية، وتكون موضع سجال كون الأرقام الخيالية التي أعلن عنها لم تخطر في ذهن أحد.

الملفت في الأمر أن أغلب الأندية تعاني من مسألة الاستثمارات الخاصة بها، مع العلم أن أنديتنا هي أندية عامة، وتمويلها من الاتحاد الرياضي العام بشكل خاص، فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة المتناقضة؟

أرقام خيالية

بعض الأرقام أشارت أن قيمة بعض العقود وصلت إلى ١٠٠ مليون ليرة أو أكثر لموسم واحد، وهي مبالغ خيالية قياساً بالوضع العام، حتى أن بعض الأصوات طالبت بإيقاف هذه المهازل باعتبارها ستضر بالرياضة، خاصة وأن خزائن الأندية خالية من المال، في حين هي بحاجة لـ ٥٠٠ مليون ليرة، أو أكثر، لسداد قيمة التعاقد مع اللاعبين.

مدربنا الوطني بكرة القدم، جورج خوري، أشار لـ "البعث الأسبوعية" إلى أن ما يحصل حالياً من تعاقدات للاعبين أو المدربين هو ضرب من الخيال، ولم تعهده لعبة كرة القدم، ولو فكرت إدارات تلك الأندية لوجدت أن ما يحصل يضر باللعبة، فعندها اللاعب سيكون ولاءه للتاجر الذي دفع له، ولن يكون للنادي! وهذا لا يطور كرة القدم عامة، بل سيؤدي إلى تراجعها فنياً، وتساءل الخوري: في حال حدث خلاف بين النادي والتاجر الداعم، وابتعد الأخير عن الجو الرياضي، ما هو مصير اللاعبين عندها؟ مؤكداً أن مسؤولية الأمر يتحمله اتحاد كرة القدم، وعليه الوقوف بحزم بوجه مثل تلك التعاقدات.

مضر للمنتخب

من جهته، مدربنا الوطني بكرة القدم طارق جبان بين أن التعاقدات خيالية، ولا تعطي الواقع الحقيقي لأي لاعب مع وجود بعض الاستثناءات، فالكثير من الأندية تعاقد مع لاعبين بمبالغ "خيالية"، وهذا الأمر ليس صحياً، بل هو مضر بالكرة السورية، فالنادي صاحب المال الأكبر سيستقطب أهم اللاعبين، ويترك لبقية الأندية الصفقات الأقل، وعندها ستنحصر المنافسة على بطولة الدوري بين ناديين أو ثلاثة لا أكثر.

وأضاف الجبان: ما يحصل الآن لن يرفع مستوى الدوري الكروي، وسيؤثر على المستوى الفني للمنتخب، كون أغلب لاعبي المنتخب هم من ناديين فقط، وهذا الأمر سينعكس على الأندية، وعلى حماسة وإثارة الدوري، وأتمنى أن يكون المال متوفراً لكافة الأندية حتى تستطيع أن تستغله بالشكل الأمثل، وأعتقد أن الأموال التي تدفع "خرافية"، ولا يستحقها القسم الأكبر من اللاعبين.

طوابق فنية

مدربنا الوطني بكرة القدم فراس معسعس رأى أن العامل المادي لعب بشكل كبير بتعاقدات الأندية، وأصبحت الأندية بطوابق مختلفة تماماً، فالبعض يقدم عروضاً مغرية لأي لاعب مميز، أو حتى لاعبي المنتخب الأول، أما بقية الأندية فهي تعاني بشكل كبير بسبب عدم وجود داعمين، أو استثمارات تلبي احتياجات التعاقدات، ولذلك سنشاهد دورياً مختلفاً عن بقية المواسم، وانحصار المنافسة بفرق تشرين وحطين والوحدة والاتحاد، وبنسبة أقل لنادي الجيش.

وكشف معسعس أن قيمة التعاقدات ليست مرتفعة مقارنة بدول الجوار، ومقارنة بالمواسم الماضية بسبب التضخم المالي، لكن من الممكن أن يتأثر المستوى الفني وتنحصر المنافسة بفرق معينة.

أسس الاحتراف

ما قيل عن كرة القدم ينطبق على كرة السلة، حيث رأى الخبير السلوي هشام الشمعة أن جنون التعاقدات السلوية اجتاز كرة القدم، ولو كانت الأندية على مستوى واحد، أو قريبة من بعضها، لقلنا "حلال!" على النادي الذي يستطيع جلب اللاعبين، لكن الذي يحصل مختلف تماماً.

وتساءل الشمعة: كيف يرضى النادي المستقبل للمال أن يكون تحت رحمة تاجر أو داعم؟! مضيفاً: أنا مع الاحتراف المعتدل الذي يلبي حاجة ابن النادي، ولست مع الاحتراف الفاحش حيث لا تستطيع الأندية باستثماراتها دفع تلك المبالغ، وترى من يدفع الأموال الطائلة لبعض اللاعبين لتحقيق بطولة لموسم واحد أو موسمين، ولو أن هذه الأموال الطائلة تصرف على فريق كامل، بأعمار ١٦ سنة، لكانت تخدم النادي أكثر في المستقبل، وبأكثر من بطولة واحدة، في حين نجد أن التعاقد شمل اللاعبين كبار السن، وهم على أبواب الاعتزال؛ وأقول إن انعدام الانتماء ومحبة الأندية والهرولة وراء الاحتراف المادي أحبط عزيمة لاعبينا؛ والركض وراء المال فقط، بات هو المهم، ولم يعد المهم المستوى الفني، والدليل هو النتائج التي تحققت مع المنتخبات الوطنية.

أخيراً نتمنى من المكتب التنفيذي وضع أسس الاحتراف حتى لا نحصر لاعبينا بناديين أو ثلاثة ويبقى الباقي متفرجين لا حول لهم ولا قوة، كما نتمنى من المكتب المختص وضع ثلاثة حكام على الأقل بوضع الاحتراف أسوة بلاعبي الأندية، كي لا يبقى الحكم الجهة المجهولة في عالم الاحتراف ويبقى اللاعب أفضل منه مادياً ومعنوياً.

البعث الأسبوعية
الأربعاء ٢١ تشرين الأول ٢٠٢٠ العدد ١٠

لو أنجزناها لما اشتعلت أزمة المحروقات..

المصفاة الثالثة مثال على هدر فرص التوجه شرقاً



«البعث الأسبوعية» ـ علي عبود

ليست المرة الأولى التي تشتعل فيها أزمة المحروقات، فالحكاية طويلة عمرها عقود وليس سنوات قليلة، وطالما الأمر يتعلق باستيراد المادة فإن الأزمة لن تخمد لمدة طويلة، فأي خلل في الإمدادات يعني اشتعالها من جديد، لأشهر أو لأسابيع عدة ولو عدنا إلى الماضي البعيد، لاكتشفنا أنه ما من شتاء بارد مر بدفء على السوريين، والحجة دائماً كانت «التهريب»، ومنذ سنوات «صعوبة الاستيراد».

وعندما تتعطل، أو تتوقف، عملية التكرير، في مصفاتي حمص وبانياس، تشتعل الأزمة أكثر فأكثر، ليس في الشتاء فقط، وإنما في ذروة القيظ أيضاً، كما حصل في الأسابيع الأخيرة. ولربما لم نكن نمر بأزمة خانقة في السابق ،عندما كانت تجري عمليات الصيانة، أو العمرة، لإحدى المصفاتين، فالاستيراد السهل كان يحول دون اشتعال أزمة محروقات. وبما أن احتياجاتنا من المحروقات تتزايد، ولا تتناقص، فقد لحظت الخطط «الورقية» منذ تسعينيات القرن الماضي توسيع مصفاة حمص من جهة، وإقامة مصفاة ثالثة من جهة أخرى. ولكن. لم تكن الحكومات السابقة جدية، أو ميالة، لإقامة مصفاة جديدة، فهي اختارت الحل الأسهل، أي استيراد المحروقات، وغالباً كان خيارها انصياعاً لرغبة كبار المستوردين المتنفذين الذين لا يزالون يضعون «فيتو» كبيراً على إقامة المصفاة الثالثة!

خيار التوجه شرقاً!!

وقد سبق للحكومات السابقة، منذ بدء فرض العقوبات على سورية في ثمانينيات القرن الماضي، أن لوحت بالتوجه شرقاً كخيار بديل عن الغرب، لكنها لم تفعل الكثير لترجمة خيار الشرق إلا في حالات ضرورية جداً.

وكان يمكن تطوير قطاعنا العام الصناعي والإنشائي في تسعينيات القرن الماضي، من خلال شراكات مع دول صديقة وحليفة، دون أن تتحمل خزينة الدولة الكثير، لكن ما من حكومة فعلتها، لأن الرهان كان دائماً على عروض غربية، أو عربية حليفة للغرب!

وحتى قانون الاستثمار رقم ١٠ للعام ١٩٩١ كان هدفه جذب استثمارات أجنبية غربية لا شرقية، ومع أن التجربة لم تنجح - كما راهنت الحكومات السابقة - فإنها لم تتعلم من التجربة متجاهلة أن أكبر المستثمرين في أمريكا هم من «الشرق»، لا الغرب!!

وكان الخيار الكارثي، في النصف الثاني من العقد الأول، بالابتعاد عن الشرق والانحياز للغرب من خلال تبني سوق الاقتصاد الليبرالي، وكانت نتائجه مدمرة من خلال اعتماد الاقتصاد الريعي والخدمي وإهمال الاقتصاد الإنتاجي.

ولم يكن قرار إقامة مصفاة ثالثة بمنأى عن سياسات الحكومات السابقة التي لم تكن جدية حيال أي فرص قادمة من الشرق، لذا رأيناها تتخذ قرارات بإقامة المصفاة على الورق، لترسلها فوراً إلى الأدراج المنسية، بانتظار أن يأتي عرض لإنجاز المصفاة من الغرب، وهذا أمر لم يتحقق حتى الآن!

ولو أقدمت حكومة واحدة، خلال العقود الثلاثة الماضية، على الموافقةعلى عرض من الشرق لإقامة المصفاة الثالثة، لما شهدنا اشتعالاً لأزمة المحروقات إلا بحدود ضيقة جداً، بل كان يمكن لسورية أن تصدر المحروقات لدول الجوار بدلاً من استيرادها كرمى لعيون بضعة متنفذين يعترضون أن تتوقف سورية نهائياً عن استيراد المحروقات كإيران مثلا!

أزمة بسبب الصيانة

وعندما تكشف وزارة النفط أن سبب أزمة المحروقات الأخيرة هو أعمال الصيانة والعمرة لمصفاة بانياس فهو اعتراف بأن الحكومات السابقة قصرت جداً ببناء المصفاة الثالثة، بل والرابعة، لأنها رفضت العروض الشرقية، ليس في مجال النفط فقط، وإنما في مجالات أخرى كثيرة آخرها العروض المتعلقة بالإعمار وإعادة بناء القطاع الصناعي العام.

وكان بناء مصفاة جديدة ضرورياً جداً لتكرير إنتاجنا من النفط لتأمين الاحتياجات المحلية وتصدير الفائض، خاصة وأن إنتاجنا لم يكن بالكميات الكبيرة لتصديره خاماً. وبفعل هذا الواقع، تحولت أعمال الصيانة الدورية للمصفاة إلى عملية بطولية لأنها كانت بمثابة المنقذ لإطفاء نيران أزمة المحروقات. وبدلاً من أن تناقش الجهات المسؤولة إحياء إقامة مصفاة ثالثة، انشغلت بمتابعة «العمرة»، كخيار دائم وأبدي، لإنهاء أزمة المحروقات. ربما لأنها تفضل العيش في وهم عودة عمليات الاستيراد بالراحة، كما كان عليه الوضع منذ عقود. ولولا قلة من الحياء لألقت الجهات المعنية مسؤولية أزمة المحروقات على إدارة مصفاة بانياس وعمالها وفنييها، متجاهلة أن هذه العملية تأخرت إلى حد لم تعد المصفاة قادرة على التكرير.

وجميل جداً أن يقول رئيس الحكومة أننا «بجهود عمالنا وكفاءاتنا الوطنية قادرون على تامين كل متطلبات العمل والإنتاج وإعادة الإقلاع بالشركات والمؤسسات المتوقفة، وتأمين احتياجات أبناء شعبنا الأساسية». لكن الأكثر جمالاً أن يناقش مجلس الوزراء - بأسرع ما يمكن - خيار التوجه شرقاً، أي إلى إحدى الدول الصديقة أو الحليفة المستعدة لبناء مصفاة ثالثة على الأقل، وبأسرع ما يمكن، كي نجتث نهائياً اشتعالاً جديداً لأزمة المحروقات!

نعم. أعمال العمرة والصيانة تحتاج إلى وقت محدد، وكان يمكن أن تنجز بهدوء، وبلا ضجيج إعلامي، لو كانت هناك مصفاة ثالثة تحول دون نشوب أي أزمة. وعندما نعرف أن المصفاة تنتج الغاز المنزلي والكيروسين والمازوت والفيول، وغيرها من المشتقات النفطية، ندرك أهمية تأمين هذه المواد محلياً، لا عن طريق الاستيراد، ولو كان لدينا مصفاة ثالثة لما عرّضت الحكومات السابقة السوريين لأي أزمة محروقات، منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي. نعم أزمة المحروقات عمرها عقود، وليس سنوات!

الفصل الأول من حكاية طويلة

بدأت حكاية المصفاة الثالثة - وهي فعلاً حكاية - منذ تسعينيات القرن الماضي، إذ توقعت الحكومة آنذاك أن قانون الاستثمار الذي تضمن الكثير من التسهيلات والإعفاءات سيجذب الاستثمار الأجنبي، ولا سيما في قطاع النفط، لكن الأمر لم يُسل لعاب أي مستثمر غربي، في حين لم تكترث حكومة التسعينيات لعرض مشروع إقامة مصفاة ثالثة على أي بلد صديق أو حليف، بل إن خيار التوجه شرقاً لم يكن مطروحاً حينها على الرغم من فرض عقوبات على سورية منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي. وكان علينا أن ننتظر حكومة ٢٠٠٣ — ٢٠١١، التي اختارت تطبيق نهج اقتصاد السوق الليبرالي الريعي، لنشهد الفصل الأول من حكاية المصفاة الثالثة، من خلال عرض بدا جدياً لإقامة مصفاة نفط جديدة؛ ففي جلسته، المنعقدة في ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٦، وافق المجلس الأعلى للاستثمار على تشميل مشروع انشاء مصفاة لتكرير النفط في دير الزور، بأحكام قانون الاستثمار رقم ١٠، على شكل شركة مساهمة مغفلة تقدر تكلفتها الاستثمارية بحدود ٨٨ مليار ليرة سورية.

ووقعت وزارة النفط والثروة المعدنية، في أيار ٢٠٠٧، مع شركة نور للاستثمار المالي الكويتية مذكرة تفاهم تتولى بموجبها الشركة تشكيل تحالف مالي بقيادتها يضم رجال أعمال ومؤسسات وشركات حكومية سورية وعربية وأجنبية بغرض إقامة وتشغيل مصفاة دير الزور، باستطاعة تقدر بـ ١٤٠ ألف برميل يومياً. وأوضحت الشركة الكويتية أن مدة تنفيذ المشروع من ٣ إلى ٤ سنوات، وتقدر تكاليفه الأولية بـ ١,٥ مليار دولار، وسيلحظ تصميم المصفاة إمكانية تكرير مزيج النفط الخام السوري الخفيف والثقيل، بنسبة ٥٠ بالمئة لكل نوع.

في ٥/ ١١/ ٢٠٠٧، وقعت شركة نور للاستثمار المالي الكويتية، من خلال شركة نور للنفط التابعة لها، مع شركة وود ماكينزي البريطانية، على اتفاقية دراسة مصفاة دير الزور المزمع إقامتها بطاقة ١٤٠ ألف برميل يومياً، وذلك في فندق شيراتون دمشق.

وأكد حينها نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية، الذي حضر التوقيع، أن هذا المشروع يعد من المشروعات الاقتصادية المهمة، نظراً للنمو المتزايد في الطلب على الطاقة، لافتاً إلى أن الحكومة ستقدم أفضل الشروط اللازمة والممكنة لإنجاح هذا المشروع، لأنه يأتي ضمن خطط واستراتيجيات الحكومة السورية لدعم قطاع الطاقة وتنمية المنطقة الشرقية.

وانتهى الفصل الأول بغموض محير. فلم يعد أحد يسمع بالعرض الكويتي المطعم غربياً، والمدعوم حكومياً!

الفصل الثاني: فنزويلا وإيران

الفصل الثاني في حكاية المصفاة الثالثة بدأ مباشرة في أيلول ٢٠٠٦، فقد كشف وزير النفط السابق أنه بحث مع نظيره الفنزويلي مشاركة فنزويلا في إنشاء المصفاة الثالثة في سورية، وفق ما اتفق عليه خلال زيارة الرئيس الفنزويلي الراحل، هوغو تشافيز، إلى سورية.

ولتأكيد جدية الحكومة بإيجاد مصادر تمويل أكثر للمصفاة، كشف وزير النفط أيضاً أنه عقد اجتماعاً مع وزير النفط الإيراني تم فيه مناقشة إمكانية المساهمة في مشروع المصفاة الثالثة.

الملفت غياب الشفافية، بل وتقصد الغموض، في هذا الفصل، وبالتالي لا نعرف إن كانت وزارة النفط بحثت إمكانية إقامة المصفاة الثالثة بمشاركة أحادية من فنزويلا وإيران، أم بمشاركة الدولتين معاً، ولكن المؤكد أن المباحثات لم تتطور لتوقيع عقود لا مع إيران ولا مع فنزويلا!

الفصل الثالث: مصفاتان بتوقيع الخاص

بعد انتهاء الفصلين، الأول والثاني، من حكاية المصفاة الثالثة، أسدلت حكومة ٢٠٠٣ - ٢٠١١ الستارة على المسرح دون أي تعليق، أو تفسير، ولم نعد نسمع أي كلمة حول مصير الاتفاقية الموقعة مع شركة كويتية، ولا أي جديد في المباحثات مع كل من فنزويلا وإيران بشأن المصفاة الثالثة. وفجأة بدأ الفصل الثالث، في العام ٢٠١٩، بلا أي مقدمات، فقد وقعت وزارة النفط و«رجال أعمال» اتفاقية لتأسيس مصفاتين جديدتين ستنفذهما شركتا «مصفاة الساحل» و«مصفاة الرصافة»، قيمة كل منهما ١٠ مليارات ليرة سورية.

الملفت أن تفاصيل هذه الاتفاقيات تنقصها الكثير من الشفافية والمكاشفة وهي تتضمن بعناوينها العريضة تأسيس شركة مشتركة مساهمة مغلفة خاصة لإنشاء وتشغيل وإدارة مصفاة لتكرير النفط المتكاثف (شركة مصفاة الساحل)، تأسيس شركة مشتركة مساهمة مغفلة خاصة لإنشاء وتشغيل وإدارة مصفاة لتكرير النفط الثقيل«الرصافة»، إضافة إلى تطوير وتوسيع مصب النفط بطرطوس، وإنشاء منظومة جديدة لنقل النفط وإعادة تأهيل وصيانة منظومة نقل النفط القائمة.

والسؤال هنا: ما الآلية التي نفذتها وزارة النفط لتوقيع هذه الاتفاقيات؟

إلا أن السؤال الأهم: لماذا لم تطلب وزارة النفط من دول صديقة وحليفة، ولها باع طويل في الصناعة النفطية، بتنفيذ هذه المشاريع كروسيا والصين وإيران؟ ألا يؤكد كل ذلك أن التوجه شرقاً لا يزال مجرد شعار على الورق فقط؟

آثار أزمة المحروقات

لا تقتصر تداعيات أزمة المحروقات على الطوابير الطويلة أمام محطات الوقود، واضطرار أصحاب السيارات للانتظار ساعات عدة للفوز بـ «تنكة» بنزين، مع ما يسببه ذلك من هدر للوقت والمال، فهناك آثار عميقة خدمية وإنتاجية لا نظن أن الحكومات السابقة درستها، أو أخذتها بعين الإعتبار عند مناقشة إقامة المصفاة الثالثة.

مثلاً. أصحاب سيارات الأجرة والخدمة رفعوا سعر النقل بدل تعويض الانتظار في الطابور، وتجار السلع والمواد، باختلاف مسمياتها، رفعوا أسعارها بذريعة ارتفاع أجور نقلها، والجولات الميدانية لوحدات الإرشاد الزراعي تتوقف، وبالتالي تلحق الضرر بالقطاع الزراعي، خاصة وأن الثروة الحيوانية تحتاج إلى الأطباء البيطريين، وأعمال الري التي تستخدم المحركات تتوقف، أو ترتفع تكاليفها، ما يعني زيادة حتمية على السلع الزراعية؛ واتحاد الفلاحين أكد أن مخصصات الفلاحين من المازوت تكفي ٥٠٪ من حاجتهم الفعلية، ما يعني تأمين الباقي بـ «السعر الأسود»، أي رفع تكاليف المنتجات أو إتلاف آلاف الدونمات، وافتعال الحرائق في الحراج والغابات لاستخدام حطبها بالتدفئة بدلاً من المازوت المفقود، أو المقنن الذي لا يكفي العائلة في الجرود أكثر من شهر!

الكرة لاتزال في ملعبنا

خلال الإجتماع الذي عقد يوم ٢٨/ ٩/ ٢٠٢٠، بين اللجنة المركزية للتصدير في اتحاد غرف التجارة السورية من جهة، ومديري البيت التجاري القرمي السوري من جهة أخرى، بحضور رئيس الملحقية التجارية والاقتصادية في سفارة روسيا الاتحادية بدمشق، جيورجي كوبزار، اكتشفنا إمكانية معالجة موضوع التحويلات النقدية، وإزالة المعوقات من عمليات نقل البضائع، وإزالة المعوقات التي تسهم في تأخر البضاعة وتضررها. إلخ. والمهم في هذا الإجتماع كان وجود مقترح لإنشاء شركة مشتركة للنقل تكون كفيلة بحلّ جميع المعوقات التي تواجه عمليات النقل، حيث تعاني الشحنات القادمة من سورية اليوم، والمحملة بمعظمها خضراً وفواكه، من تأخير على الطريق، ما قد يؤدي إلى تضرر البضاعة أو جزء منها، وبأن الشحنات تستغرق أحياناً أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع.

وأعرب الملحق التجاري عن أمله بمعالجة الموضوع بأسرع وقت ممكن، مضيفاً أنه «يمكن للمسؤولين في القرم زيارة سورية لبحث الأمر مع وزارة النقل، فالكرة اليوم بالملعب السوري!».

ونزيد من جهتنا التالي: الكرة الخاصة بإقامة مصفاة ثالثة، ورابعة، بقيت في ملعب الحكومات السابقة منذ عشرين عاماً على الأقل، وهي لا تزال بانتظار حكومة تعيدها إلى «الشرق»، ليعيدها بدوره على شكل مشروع يدخل مرحلة التنفيذ الجدي كترجمة فعلية - لا ورقية - لخيار التوجه شرقاً!

جامعاتنا أقرب لـ «البحش» والبحث العلمي «غاطـس» في بحر الكلام المعسول!

المليـارات مجمـدة و«التعليم العالي» فـي طور إعداد قاعدة البيانات

"البعث الأسبوعية" ـ غسان فطوم

تجمع الغالبية من أساتذة الجامعات، ممن اشتغلوا بالبحث العلمي، أن جامعاتنا ومراكزنا البحثية أبعد ما تكون عن البحث العلمي، رغم بعض الطفرات. واختصر هذه الحقيقة المرّة أحد الأساتذة بقوله: "كل ما نحن فيه هو "بحش" لا أكثر. للبحث أصول ومقومات، وفي غيابهما يغيب البحث ويحضر البحش!".

الأساتذة وطلبة الدراسات العليا أجمعوا على أن "كارثة" البحث العلمي - كما وصفوها- تبدأ من إهمال طلبة الدراسات العليا الذين هم نواة البحث العلمي، مروراً بالمعايير المزاجية في اختيار من يوفدون للخارج لمهمة البحث العلمي، والتي تحضر فيها المحسوبيات ليذهب بالنتيجة من لا علاقة له بالبحث العلمي، بـ "التنفيعة" المادية، وصولاً إلى المحفزات المادية "المهينة" كونها لا تتناسب والجهد العلمي المبذول على مدار سنوات!

الراتب لا يصنع بحثاً!

يدعم ما سبق الدكتور تميم عليا الذي عايش البحث العلمي لأكثر من ٣٠ عاماً، فهو يرى أن النظام التعليمي، بكافة مكوناته القانونية والإدارية والبشرية والمادية والمالية، بحاجة إلى ثورة تصحيحية، مشيراً إلى أن الراتب الحالي مع التعويضات الهزيلة لا يصنع بحثاً علمياً يمكن أن يساهم في إعمار البلد: "عندما كان راتب الدكتور ٨٠٠ – ١٠٠٠ دولار (دولار الـ ٥٠ ل. س) لم يتغير شيء في الإنتاج العلمي للجامعات السورية، لأن بقية المكونات بقيت على ما هي". ويضيف: لا يمكن بناء البحث العلمي فقط بتخصيص المبالغ الكبيرة دون دراسة معمقة لأسباب تخلفه"، مورداً حادثة طريفة حدثت معه: "تواصلت معي طالبة من إحدى الجامعات، وطلبت مني أن أشرف على رسالة الدكتوراه التي تريد تسجيلها، وعندما سألتها عن الموضوع الذي تريد أن تعمل عليه، أخبرتني أنها تريد أن تطبق منهجية حديثة لتحصل من خلال ذلك على الدكتوراه، وعندما سألتها عن هذه المنهجية، اكتشفتُ أنها المنهجية نفسها التي طبقتها على مشروع تخرجي في الجامعة منذ أكثر من ٢٥ سنة. وللمفارقة فقد سجلت الدكتوراه في هذه "المنهجية الحديثة".

مهمة للنجاح ولكن!

تتمثل أهم الأسس التي يجب أن يبنى عليها البحث العلمي حتى ينجح – من وجهة نظر الدكتور عليا - بالبنية التحتية، بما فيها من مخابر وتجهيزات ومكاتب ومراجع علمية وأماكن مخصصة للباحثين، والموارد المادية "الميزانيات المخصصة لشراء المواد اللازمة ودفع تكاليف النشر وحضور المؤتمرات والمكافآت التحفيزية"، إضافة إلى الموارد البشرية وهنا المشكلة الأكبر، وبرأي الدكتور عليا فإن توفير البنية التحتية والموارد المالية غير كاف لإنجاز بحث علمي متميز، فالباحث هو الأهم، ولدراسة هذا الجانب يجب أن الأداء البحثي يعبر عنه بمعادلة بسيطة: "الأداء = المقدرة + الدافع"، وبعدم وجود المقدرة أو الدافع لا يمكن تحقيق الأداء المطلوب!

لا خبرة كافية!

ويبيّن أننا كباحثين، لا تتوفر لدى معظمنا - منفردين - القدرة على إنجاز بحوث علمية متميزة ومعالجتها ونشرها في المجلات وفي المؤتمرات، فالكثير منا لا يجيد اللغة الإنكليزية بالقدر الكافي لمشاركة أبحاثه في المؤتمرات العالمية أو لنشرها في المجلات العالمية، والكثير من الباحثين لا يوجد لديه الخبرة الكافية لتقنيات النشر في مثل هذه المجلات، لذا نجد أن الكثير من المقالات ترفض شكلاً لعدم استيفائها شروط النشر في هذه المجلات، كما أن الكثير من الباحثين ليست لديهم خبرة في معالجة النتائج إحصائياً، لذلك يقومون بصياغة النتائج بطريقة سردية لا يمكن قبولها للنشر. يضاف إلى ذلك أن قسماً كبيراً من الباحثين، وخاصة ممن لا يجيد اللغة الإنكليزية، لا يتابع آخر المستجدات العلمية، علماً أن هناك الكثير من هذه المواضيع التي يجب الوقوف عندها ومعالجتها بطريقة علمية. ومن زاوية ثانية، لا يوجد دافع للبحث العلمي – برأي عليا - لأسباب كثيرة، منها عدم توفر البيئة والثقافة المشجعة لتنفيذ للبحث، وافتقاد الباحثين لمتطلبات الحياة الأساسية ما جعلهم ينصرفون إلى الاهتمام بمجالات توفر لهم هذه الاحتياجات مثل العمل المهني أو التدريس في الجامعات الخاصة؛ وهناك أيضاً عدم وجود الحافز، فلا مكافآت مادية تشجع على البحث العلمي، ولا فرص لمشاركة الباحثين بالمؤتمرات العالمية، أو تكريم للباحثين المتميزين، أو حتى تقييم أداء الباحثين، فالكثير من الجامعات الدولية تفرض معايير صارمة لقبول عضو الهيئة التدريسية ضمن طاقمها الأكاديمي، أو لبقائه ضمن الجامعة، بحيث يتم تجديد العقود فقط مع الباحثين الذين يحققون الحد الأدنى من متطلبات البحث العلمي.

إدارة البحث العلمي

وينتقد الدكتور عليا غياب الإدارة المناسبة للبحث، فمن خلال الإدارة يتم اختيار الأجهزة التي تساعد في إجراء البحث العلمي في المخابر، والمحافظة عليها سليمة، واستثمارها بالشكل الأمثل في مجال البحث العلمي، كما تعمل الإدارة على ترميم النقص في قدرات الباحثين من خلال الفرق البحثية، ووضع الآليات التي تميز البحث الحقيقي عن البحث الوهمي عن البحث الضعيف، ووضع المعايير المناسبة التي تشجع طلاب الدراسات العليا على النشر في مجلات عالمية مرموقة، وخلق الثقة بالمؤسسات البحثية وفتح قناة للتواصل الحقيقي بين مؤسسات البحث العلمي وبين الفعاليات الاقتصادية والصناعية بما يحقق الفائدة للطرفين.

لا تعرف ماذا تريد!

وبيّن الدكتور عليا أنه في حال إهمال الجانب الإداري وتخلفه الشديد (وهذا هو حالنا اليوم!) سنكون أمام إدارة لا تعرف ماذا تريد، قبل أن تعرف كيف يمكن تحقيق ذلك، ونكون أمام واقع مختلف تماماً، وخاصة عندما تتولى إدارة المراكز البحثية، والجامعات، وغيرها، كوادر أبعد ما تكون عن البحث العلمي، ولا تعرف أهميته وأبعاده. لذا، لا غرابة في ظل غياب الإدارة الناجحة أن تتحول الأجهزة المخبرية إلى خردة، ويكره الباحثون البحث العلمي، ويسيطر الجاهلون على مقدرات المراكز البحثية ويديرونها بطريقة متخلفة، ويتولى المتملقون والمنتفعون مواقع القرار، ويُحارب الباحثين ويُضّيق عليهم، وتهدر موارد البحث العلمي في أمور جانبية، وتأخذ المواضيع الجانب الشخصي والمنفعي، ويصبح البحث للترفيع والترقية الوظيفية أو للحصول على مكافآت، وتتحول رسائل الدراسات العليا إلى تجميع بيانات توضع على رفوف المكتبات! بالمختصر: الإدارة هي مربط الفرس في أية تنمية كانت، وهذا الموضوع لا أجد فيه بارقة أمل حالياً لأسباب كثيرة.



الخسارة الكارثة!

من وجهة نظر الدكتور شريف صديق أن سوء التصرّف حيال مشاكل التعليم العالي هو الذي زاد الطين بلة، ويؤكد أن خسارة أساتذة الجامعة يعني الكارثة، "وكأنه يُخطط لذلك، ويدفعونهم إما للغوص في الفساد أو الهجرة".

ويضيف: صحيح أن الأزمة أثرت على واقع التعليم العالي، ولكن الفساد الإداري كان له النصيب الأكبر في تفاقم هذه الأزمة، ما جعل جامعاتنا في ذيل الترتيب على مستوى المنطقة والعالم. وفيما يخص غياب البحث العلمي وتخلفه، يرى الدكتور صديق أن ذلك نتاج طبيعي في ظل غياب الحافز المادي والمعنوي: "للأسف مكافأة الإشراف على الدكتوراه بقيمة كيلو لحمة".

ويتساءل: هل يعقل، في ظل هذه الظروف الصعبة، أن يبقى تعويض تقييم مقال علمي في المجلة ٢٠٠٠ ليرة، منها ٢٠٠ ليرة ضريبة، علماً أنه في الجامعات المجاورة لا يقل عن الـ ١٠٠ دولار؟ وهل يعقل أن تحكيم رسالة ماجستير لا يتجاوز الـ ٤٠٠٠ ليرة، والإشراف على الماجستير ١٥٠٠٠ ليرة، والدكتوراه ٢٥,٠٠٠ ليرة. هذه الأرقام الهزيلة لا تكفي اليوم تغطية تكاليف الهاتف النقال والانترنت!

موارد مجمدة!

ويوضح الدكتور صديق: حتى ننجح في إنجاز البحث العلمي التطبيقي، نحتاج للدعم المادي الذي يتساوى مع الجهد المبذول؛ والمؤلم أن هناك إمكانية لذلك، حيث لدى الجامعات موارد ذاتية "مجمدة" كافية لدعم الباحث، خاصة أن رفع التعويضات يتم بقرار من مجلس التعليم العالي وبموافقة رئاسة مجلس الوزراء، بمعنى أن حل مشكلة تعويضات الهيئة التدريسية، وخاصة العاملين في البحث، لا تحتاج إلى مراسيم أو دعم من موازنة الدولة.

وتساءل الدكتور صديق: "في ظل هذا الإجحاف بحق أستاذ الجامعة بأي نفسية سيعطي نصابه التدريسي؟! أنا اشرف على ١٠ طلاب ماجستير ودكتوراه، وراتبي لا يكفي حتى ٥ من الشهر".

ماذا تقول الوزارة؟

عندما فردنا ملف معاناة الباحثين ومشاكل البحث العلمي المترهل في جامعاتنا ومراكزنا البحثية على طاولة مدير البحث العلمي في الوزارة، الدكتور شادي العظمة، لم يخفِ أن البحث العلمي ومن يشتغل به يعانون، مشيراً إلى وجودَ كسل بحثي وتذمر من إنجاز البحث عند العديد من الباحثين: "إذا سألت الباحث أين البحث العلمي؟ يجيبك: أي بحث علمي!! بدي عيش!"، واعترف أن السبب لا يعود فقط لضعف التمويل، فهناك أسباب أخرى تتعلق بعدم استجابة الجهات والمؤسسات الحكومية، وحتى الخاصة، أي عدم التعامل بالشكل المطلوب مع الأبحاث ذات الجدوى، حيث توضع على الرف رغم أهميتها بحل المشاكل العالقة! وهذا - برأيه - ليس مشكلة بحث علمي فقط، وإنما ثقافة مجتمع، بمعنى أن الجميع مسؤول عن الواقع الحالي.

نحن نعمل!

وأشار الدكتور العظمة إلى أنه بالرغم من عدم توفر رغبة عند الباحثين، وبالرغم من ضعف الحافز، وعدم توفر البيئة التشريعية المناسبة للباحث وعدم استجابة الجهات باستثمار البحوث، لكن الوزارة تعمل اليوم بكل السبل لتطوير البحث العلمي، وكذلك الجامعات، من مواردها الذاتية، وهي ليست فقيرة، بل غنية، وهنا من الممكن من خلال أداة تشريعية أن تقوم بدعم الباحثين إضافة إلى دعم المعيدين والموفدين، ولو كان دعماً متواضعاً.

لم يكن هناك دعم!

ورداً على سؤال "لماذا لم تعمل الوزارة على دعم البحث العلمي قبل سنوات الحرب؟"، بيّن أن ذلك يعود لعدم وجود صندوق لدعم البحث، ولم يكن هناك دعم من الهيئة العليا للبحث العلمي، لافتاً إلى أنه بعد إحداث صندوق الدعم "تحلحل الوضع"، حيث أصبح هناك موارد أكثر من مليار ليرة وقد تم إطلاق ٣ إعلانات لاستقطاب البحوث العلمية بمجالات مختلفة، منها ما يخص فيروس "كورونا"، ومنها دراسات عن الوضع الاقتصادي في سورية وقال العظمة:

"نحن نستثمر وفق الإمكانيات المتاحة، فهذا العام إذا ما تم تنفيذ كل العقود البحثية سننفق بحدود الـ ٣٠٠ مليون ليرة"، مشيراً إلى أن وزارة التعليم العالي تشبك وتنسق بشكل صحيح مع الجهات المعنية، لكن الأهم لديها أن تقوم الجهة طالبة البحث بإبداء الاهتمام الفعلي بالاتصال بالوزارة، لا أن تتصل الأخيرة بها، وهذا دليل على أن الخلل بالنيّة والرغبة عند الجهات المعنية.

قاعدة بيانات!

وعلمنا من الدكتور العظمة أن الوزارة أنهت انجاز قاعدة البيانات الخاصة بالبحث العلمي التي تضاهي - حسب قوله - مثيلاتها في دول العالم العربي ودول أخرى، والقاعدة تضم أسماء كل أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات، وأيضاً أعضاء الهيئة الفنية والمعيدين، وكل رسائل الماجستير والدكتوراه وأسماء المجلات المحكمة، وكل ما يتعلق بالبحث العلمي.

تأخرت كثيراً!

وإذا كانت وزارة التعليم العالي تفاخر بهذه القاعدة لكنها تأخرت كثيراً في إحداثها! رغم ذلك يعول الدكتور العظمة على بذل كل الجهود لتعويض التأخير من خلال العمل الجاد على تفعيل البحث العلمي في الجامعات، ونشر ثقافة البحث ليكون أفضل مما عليه الآن. وكشف مدير البحث العلمي أن الوزارة تعمل حالياً على تشكيل لجنة من أجل إحداث مسار اسمه "مسار الباحث"، و"سنحاول بالقانون والتشريع أن ندخل كلمة باحث من أجل ضمان حقوق الباحث وواجباته، وهذا سيشكل حافزاً للباحث بعد نشر بحثه وتطبيقه". وأكد أن سورية حتى تنجح بتحقيق قفزات بالبحث العلمي يجب أولاً، الاهتمام بطلبة الدراسات العليا فهم المعوّل عليهم لقيادة دفة البحث، إضافة إلى وضع برنامج وطني كامل لدعم البحث بكل خطواته، أي من الفكرة إلى التطبيق العملي على الأرض.

وخزات مؤلمة!

بعد أكثر من نصف قرن على إحداث وزارة التعليم العالي، كنّا نتوقع أن يكون حال البحث العلمي أفضل مما هو عليه الآن، ليتأكد لنا بذلك قول ذاك الأستاذ "إن جامعاتنا أقرب للبحش من البحث العلمي"، فليس مقبولاً أن نعمل اليوم على نشر ثقافة البحث العلمي وكأنه شيئ طارئ على الجامعات. والسؤال: ما فائدة قاعدة البيانات إن لم يكن لدينا الباحث المتحفز للعمل؟!

أسئلة كثيرة مؤلمة يمكن أن تطرح هنا تحتاج بلا شك لإجابات جريئة صريحة وشفافة. وبالمختصر: مؤلم جداً حال بحثنا العلمي، وما باح به أساتذة الجامعة هو غيض من فيض المعاناة، وخاصة عندما نعلم أن هناك أكثر من ٢٢ مركزاً بحثياً تعمل بالبحث العلمي، لكنها – بالمقياس العملي على الأرض- عاجزة عن إنتاج بحث علمي تطبيقي تنعكس آثاره على حل المشكلات والصعوبات العالقة في مجتمعنا.

أقل ما يقال

هم في وادٍ والواقع في وادٍ آخر..!

"البعث الأسبوعية" ـ حسن النابلسي

"كلام جرايد". طالما ترددت ولا تزال هذه العبارة على مسامعنا في إشارة واضحة بأن إعلامنا يتوارب على الحقيقة، وكأنه في وادٍ والواقع المفترض أن يعكسه بوادٍ آخر، ما أدى في كثيرٍ من الأحيان إلى إحجام المتلقي عنه، لأسباب لها علاقة مباشرة بما ينقله من تصريحات إيجابية لمسؤولينا تتناقض مع الواقع المعاش وتصوره بأنه في أحسن أحواله، بل ولا تخلو تلك التصريحات من وعودٍ براقة تحلق بأحلام مستمعيها إلى واقع وردي لا يتحقق في غالب الأحيان..!

هذا الأمر له وجهان كلاهما أمرٌ من الآخر. فإما أن المسؤول ينأى عن تشخيص الواقع وما يكتنفه من مشكلات وتجاوزات تحتاج حشد مزيد الجهود والإمكانيات لاجتثاثها من جذورها، وذلك لافتقاره بالأصل للمبادرات والأفكار والإجراءات اللازمة، لذلك يقصد من وراء تسويق حُسنُ سير مفاصل قطاعه تخدير المواطن والإعلام ريثما يجد الحل المناسب، وهذه بالطبع طامة كبرى..!

أو أن المسؤول بالفعل ليس على اطلاع بحقيقة ما يجري في قطاعه، وهذه طامة أكبر..!

الأدلة على ذلك كثيرة جداً، وليس أولها تلك التصريحات والتقارير التي تصدر بين الحين والآخر عن وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك حول اهتمامها بالأخير وحمايته من خلال متابعتها لوضع الأسواق ومراقبتها لأسعار السلع والمواد وكيفية انسيابها في الأسواق، في حين أنها لا تزال تخفي حقيقة فقدان مادة الزيت من صالات السورية للتجارة، رغم أنها متوفرة بالسوق بالسعر غير المدعوم طبعاً. وبالتالي، فلماذا تتغنى الوزارة بضبوط مخالفات وإغلاقات لا تغني ولا تسمن من جوع، وتخفي حقيقة فقدان مادة الزيت..!

وليس آخر ما يدل على تناقض كلام مسؤولينا ما أكده وزير النفط والثروة المعدنية منذ حوالي الشهر، بانتهاء أزمة البنزين بداية الشهر الحالي، وها نحن نتجاوز ثلثي الشهر، ولا يوجد مؤشر على قرب انتهاء الأزمة، لا بل إن الازدحام ومشاهد الطوابير على محطات الوقود تأخذ منحى تصادعدياً..!

وهنا نتساءل: لماذا لا يتجرأ مسؤولونا على تشخيص المرض الحقيقي بغية استئصاله، ويلجأون إلى المبالغة بتسويقهم لفكرة أن "الأمور بخير. والحال من حسنٍ إلى أحسن"!؟ أليس في ذلك إدانة لهم، خاصة إن كان الأمر مرتبطاً مباشرة بالمواطن وواقعه المعاش؟

وهنا، ننوه إلى ما يحدث في بعض الدول المتقدمة من تراجع مسؤوليها عن تصريحات غير دقيقة، وليست غير صحيحة فقط، بل إن الأمر يصل بهم في كثير من الأحيان إلى الاستقالة من مناصبهم، ولعل هذا هو أحد أسرار استحواذهم على ثقة من يخدمون، لأن المنصب - وفق نواميسهم - "تكليفٌ وليست تشريفاً"..!

hasanla@yahoo.com

«هيئة التخطيط الإقليمي»..
الأجدى إعادة التبعية إلى رئاسة الوزراء!

«البعث الأسبوعية» ـ ابتسام المغربي

شكل إحداث هيئة التخطيط الإقليمي نقطة مضيئة في تصحيح مسار مشاريع تم طرحها تحت مسميات وشعارات كثيرة، فكان أن تم إلغاء معظمها. عملت الهيئة برؤية وجدية وتعاون مع الخبرات وأنجزت دراسات ومشاريع، منها شارع الثلاثين واليرموك وقاسيون والرمل الفلسطيني في اللاذقية، وكثير غيرها، ولكن للأسف تم اتباع هذه الهيئة لوزارة الإسكان، وأصبحت مهملة لا تنجز اي دراسة أو عمل يعتد به على الرغم من تغير إداراتها!

حاجتنا ماسة للتنمية

الباحث في التنمية ماهر الرز، الذي عمل في الهيئة، أوضح أن وضع ما قبل الحرب، والذي تجلى في اختلالات مكانية على صعيد تحقيق التنمية المتوازنة والمستدامة، والوضع الحالي الذي تمر به سورية، يظهر الحاجة لسياسات ورؤى تنموية جديدة تبنى على المدى الطويل، وعلى أسس راسخة من التشاركية مع القطاعات العامة والخاصة والمجتمعات الأهلية، مشيراً إلى إن البحث عن رؤية بديلة موضوعٌ يتشارك الاهتمام به العديد من المؤسسات، ويتطلب إنجازه مبادرات طموحة تشاركية الطابع، تعمل على عدة مستويات تخطيطية، وتعبر عن مصالح مختلف الشرائح والطبقات الاجتماعية، خاصةً تلك التي تعاني من مستويات «حرمان» مرتفعة، وتحتاج الى رفع مؤشراتها الإنمائية وتحفيزها للاشتراك في التنمية بصورة إيجابية.

اهمية التخطيط الإقليمي

يقول الباحث الرز: يتمثل الجهاز التخطيطي المركزي الأساسي في سورية بهيئة التخطيط والتعاون الدولي، وهي جهة ذات خبرة واسعة في الإدارة وإنتاج الخطط، وتعتبر مسؤولة عن وضع «خطّة» الدولة التي توزع الموارد الوطنية على قطاعات التنمية والخدمات. وقد أضيفت لهذه البنية، عام ٢٠١٠، هيئة للتخطيط الإقليمي (تخطيط مكاني الطابع) بهدف وضع الخطط الخاصة لتوزيع هذه الموارد مكانيا، من خلال إدارة الأراضي والموارد الطبيعية والبشرية الفاعلة وتكمن أهمية هيئة التخطيط الإقليمي – يتابع الرز - في دورها الفاعل في عملية التخطيط المكاني، من خلال إعداد وتنفيذ التوجهات الوطنية للتخطيط الإقليمي، عبر شراكات متعددة المستويات مع جهات القطاعين العام والخاص والمجتمع الأهلي، بالإضافة إلى وضع الأطر والدراسات الإقليمية والهيكلية والإشراف على تطبيقها بالتنسيق مع كافة الجهات المركزية والمحلية.

وقد يكون المبرر الأساسي الذي يستوجب العمل بآليات التخطيط الإقليمي هو البحث في سبلٍ تحقيق نظام إنفاق واستثمار عام، عادل ومتوازن جغرافيا، لا يهمش الأطراف، ويعطي المجال لمختلف مدننا وأريافنا لإقلاعة اقتصادية تحمي العائلات من التفكك والهجرة إلى المناطق المركزية. ويمكن من خلال اعتماد جاد لمنهج مماثل الحديث عن نهضة ريفية ومدينية جديدة لا تعتمد على مناطق التركز التقليدية، وبعد إعادة التوجيه المنشودة للاستثمارات العامة (البنية التحتية والتعليم العالي والمهني بشكلٍ خاص)، يمكن الحديث عن دور للقطاع الخاص بوصفه المولد الأساسي لفرص العمل، والذي لن يبادر لاقتحام المناطق الطرفية دون مبادرة الدولة واستثماراتها التأسيسية. ويؤكد الباحث الرز أن التخطيط الإقليمي يعد جسراً تخطيطياً بين المستوى المركزي القطاعي الذي تعتبر هيئة التخطيط والتعاون الدولي المسؤول الأساسي عنه، وبين المستويات اللامركزية التي تعبر عنها مجالس المحافظات واتحادات البلديات ومجالس المدن.

صعوبات التخطيط الإقليمي

ولكن، ومن خلال الممارسة العملية للتخطيط الإقليمي، واجهت عملية التطبيق اختلالات ونقاط ضعف لعل من أبرزها صدور قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١١٣١٦، تاريخ ١٣/ ٨/ ٢٠١٢، والذي حدد جهة ارتباط هيئة التخطيط اللإقليمي بوزارة الإسكان والتنمية العمرانية (حالياً وزارة الأشغال والتنمية العمرانية)، وذلك بعد عامين من إحداث الهيئة بموجب القانون ٢٦، للعام ٢٠١٠، بحيث تتمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي والإداري، وترتبط برئيس مجلس الوزراء مباشرة، وذلك انطلاقاً من أن التخطيط الإقليمي «تخطيط تكاملي يوجه ويترجم وينظم السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياحية والبيئية، في كل ما يتعلق بالسكان والمكان والزمان والبيئة، ويأخذ البعد المكاني بالاعتبار، وأن دور الهيئة يقوم على تنسيق وقيادة عملية التخطيط المكاني.

ولكن تحديد موقع الهيئة المؤسساتي كجهة تابعة لوزارة الاشغال – يتابع الرز - أفقدها جزءاً كبيراً من دورها كجهة قائدة ومنسقة، وعزز الفكرة الرائجة بأن عمل الهيئة عمل عمراني وإسكاني، وأفقدها جزءاً من حياديتها كجهة تقف على مسافة واحدة بين الوزارات والجهات العامة، كما أفقدها القدرة على عقد وقيادة الكثير من الاجتماعات التي تحتاج وجود موظفين عاليي المستوى الإداري (ومنها صعوبة تشكيل المجلس الاستشاري للهيئة)، وغيّب حضورها في اجتماعات مهمة تساعدها في رسم السياسات والخطط واستشراف التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مثل اجتماعات مجلس الوزراء، واللجنة الاقتصادية، ولجنة التنمية البشرية، ولجنة البنى التحتية والخدمات، وعضوية المجلس الأعلى لإعادة الاعمار، كما أضاف حلقة إدارية لا تحوي أي قيمة مضافة في عملية المراسلات والإجراءات الإدارية، فيما لم تظهر أي انعكاسات إيجابية لهذا القرار على العملية التخطيطية وعمل الهيئة، على مستوى الممارسة العملية.

من الناحية الفنية

هنالك انطباع عام لدى الكثيرين بأن التخطيط الإقليمي نوع مكبّر من التخطيط العمراني، وبالتالي تكون الاختصاصات العمرانية والمدنية والعمرانية هي المسؤول الرئيسي على العملية، وهو ما يتناقض تماماً مع عملية التخطيط الإقليمي وفق المتعارف عليه في التجربة العالمية. ما نعنيه هنا، هو أن التخطيط الإقليمي نوع من أنواع التخطيط الكلي بصورة أساسية، وهو بطبيعته عابر للاختصاصات وجامع للمفاهيم.

ويوضح الرز أن أغلب البيانات المتوفرة تعود إلى ما قبل الأزمة التي تشهدها البلاد، وهذا جعل الكثير من التوصيات لا تتمتع بالكفاءة المطلوبة، نظراً لأن البيانات التي تقوم عليها الدراسات ذات الصلة قد تغيرت بشكل كبير، فمثلاً البيانات التي تستخدم لإنجاز خارطة السكن العشوائي، وعلى المستوى الإقليمي، أصبح من المحال اعتمادها نظراً لأن مناطق السكن العشوائي كانت الأكثر تضرراً خلال الأزمة، وهو ما ينطبق على مشاريع الإطار الوطني للتخطيط الإقليمي وخارطة السكن والإسكان. اضافةً الى أن البيانات والمعلومات التي تقدم من المكتب المركزي للإحصاء تحمل شيئاً من الخلل في حد ذاتها، فالأزمة الحالية كانت عائقاً أمام المكتب المركزي للإحصاء للقيام بتحديث البيانات في الكثير من مناطق البلاد. والتي بدونها لا يمكن للهيئة العمل.

اقتراحات وتوصيات

ويقترح الباحث الرز أن تحتل هيئة التخطيط الإقليمي مكانتها الحقيقية واللازمة في البنية التحتية الإدارية السورية، بوصفها جهة بحثية تقدم الرأي العلمي والمشورة لصانع القرار الحكومي، مع إعادة تبعية الهيئة لرئاسة مجلس الوزراء، واعتبار هيئة التخطيط الإقليمي وهيئة التخطيط والتعاون الدولي جناحي عملية إدارة التنمية والتخطيط في سورية، ولضمان التنسيق العالي المستوى في هذه العملية، من الممكن تشكيل مجلس اعلى للتنمية والتخطيط برئاسة رئيس مجلس الوزراء تجتمع مرة في الشهر، وكلما دعت الحاجة.

وتعزيز علاقة الهيئة مع المنظمات الدولية والجهات المانحة والدول الصديقة لتبادل التجارب والخبرات، واعتماد التخطيط المكاني كمنهج وآلية عمل تقود عملية التنمية المتوازنة.

استراتيجية طموحة.. رفع مساهمة المشروعات
«الصغيرة» و«المتوسطة» في الناتج الوطني إلى ٧٠٪

«البعث الأسبوعية» ـ ديانا رسوق

يُعوّل على المشروعات الصغيرة والمتوسطة بأن تكون قاطرة النمو الاقتصادي في سورية خلال السنوات العشرة المقبلة، نظراً لما قد تلعبه من دور مصيري في مضمار التنمية المستدامة من جهة، وتجاوز ما أحدثته سنوات الحرب من تأثيرات سلبية ليست بالقليلة على المناحي كافة، خاصة الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى. وبالتالي، فإن استعادة التعافي الاقتصادي وما يرتبط به من تعاف على المستوى المعيشي ومستوى الدخل والتقليل من معدلات الفقر وتخفيض نسب البطالة، وما إلى ذلك من مؤشرات، بما فيها تحقيق معدلات النمو الاقتصادي المستهدفة، ستكون معتمدة بشكل أساسي على قطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة الذي لم يحظ تاريخياً بالاهتمام الكافي من القوانين والتسهيلات الخاصة بهذه المشروعات، سواء في مجال الترخيص بما فيه المؤقت، أم في مجال التسهيلات الإدارية، أم في مجال التمويل، وما إلى ذلك، باستثناء بعض الشعارات وبعض النوايا التي كانت مطلقة في هذا الاتجاه!

إحاطة بالمخاطر

ما سبق دعا مدير عام «هيئة المشروعات الصغيرة والمتوسطة» إيهاب اسمندر إلى ضرورة وضع استراتيجية وطنية خاصة بهذا القطاع الذي يواجه العديد من المشاكل، وسوف يواجه مخاطر أكبر في السنوات المقبلة، مشيراً في حديث لـ «البعث الأسبوعية» إلى أن آثار الحرب ستظهر تباعاً، ولا يمكن الإحاطة بالمخاطر أو تلافيها أو تقليلها إلا من خلال استراتيجية واضحة تقرّ على جميع المستويات، فكل الطموحات المرتبطة بهذا القطاع - سواء لجهة تطوير المشروعات الناشئة أم لجهة تطوير ريادة الأعمال - ينبغي أن تكون ملحوظة بشكل أساسي بهذه الاستراتيجية، وأن تعتمد عليها وعلى طريقة إقرارها وتنفيذها، لافتاً إلى الرغبة بزيادة نسبة المشروعات الصغيرة والمتوسطة بالقطاع المنظم وتقليلها في قطاع الظل «غير المنظم» أيضاً، فهذه الخطوة لا يمكن أن تتم – حسب اسمندر - إلا بموجب استراتيجية واضحة.

محاور

وأشار اسمندر إلى أن الهيئة تعمل على وضع مسودة لاستراتيجية تتكون من محاور أساسية: محور يناقش الجانب التشريعي والقانوني، وآخر يتعلق بالجانب التنظيمي والإداري، وثالث يرتبط بالجانب الكمي والتأثيرات المزعمة خلال الفترة المقبلة، ورابع يرتبط بحشد التأييد ويتعلق بالوعي وتعامل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية حتى يعمل الجميع بروح واحدة، وذلك من خلال إعادة النظر بتعريف المشروعات والتعاطي مع المؤسسات التي يمكن تلعب دوراً داعماً في هذا الإطار، وآلية عمل هذه المؤسسات لتحقق ماهو مطلوب منها بشكل أفضل، إضافة إلى محاور أخرى معنية بتحليل الجانب التمويلي، كما سيكون هناك بند يتعلق بإعادة تأهيل قدرات الشباب ليتمكنوا من العمل في قطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة، إلى جانب قضايا تتعلق بالتوجيه والإرشاد وبالبيئة الناظمة والحوكمة.

نحو تنمية متوازنة

وبين اسمندر أنه وعلى اعتبار أن هناك تركيز على العلاقة بين قطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة والتنمية المحلية والمكانية في سورية، لإحداث تنمية متوازنة في عموم المناطق لتحقق هذه المشروعات التنمية المطلوبة منها، فإن قطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة بأمس الحاجة لهذه الاستراتيجية لتعديل الجانب التشريعي الذي تعمل ضمن إطاره، وتعديل الإطار التنظيمي بشكل عام لعمل هذا القطاع، كما أن هذه الاستراتيجية كفيلة بمنع تشتت الجهود، إذ أن هناك الكثير من الجهات التي تعمل بشكل مباشر أو غير مباشر تحت مسمى المشروعات الصغيرة والمتوسطة لكن جهودها مشتتة إلى حد ما، لذلك أما إذا استطعنا إقرار استراتيجية وطنية واضحة نكون قد وحدنا الجهود وقللنا التكاليف وزدنا القدرة على تحديد الأهداف التي يفترض أن تكون أهداف مشتركة بين الجهات المختلفة التي تعمل بهذا القطاع.

تكافؤ الفرص

وأوضح اسمندر أن هذه الاستراتيجية ستركز على إيجاد آلية لتكافؤ الفرص بين مختلف الداخلين إلى سوق المشروعات المتوسطة والصغيرة، وكيفية خدمة هذه المشروعات ببعض القضايا الاجتماعية العامة كرعاية المبدعين والمبتكرين وتطوير منظومة الإبداع والابتكار في سورية بشكل عام، ورعاية ذوي الإعاقة، والعمل على دراسة دمجهم بالمجتمع بشكل أفضل من خلال عمل مفيد لهم وللمجتمع، خاصة إذا ما علمنا أن هذه الاستراتيجية تهتم بتطوير برامج البحث العلمي سواء بالجامعات أم في غيرها، وتحسين بيئة الأعمال وكيف يمكن أن تنعكس هذه المشروعات على تطوير المناخ الاستثماري، فالاستراتيجية المرتقبة - وفق تعبير اسمندر - هي استراتيجية طموحة تحمل الكثير من التحليل الواقعي للاقتصاد السوري ولقطاع المشروعات بشكل أساسي وما يعول عليه من طموحات يمكن تحقيقها خلال السنوات المقبلة وآلية تحقيقها بشكل علمي ومدروس ينعكس بالضرورة على بناء اقتصاد قوي يضاهي الدول المتقدمة.

بلغة الأرقام

بلغة الأرقام بين مدير عام الهيئة أن الاستراتيجية ستعمل على مساهمة المشروعات من خلال زيادة اليد العاملة إلى حوالى ٧٠٪ من قوة العمل ستعمل في هذا القطاع، في حين يعمل حالياً حوالى ٥٧٪ من القوى العاملة، مع الإشارة إلى نسبة العمالة في الدول المتقدمة بهذا المجال تصل في اليابان إلى ٨٤ ٪، وفي كوريا الجنوبية إلى ٨٧٪، وفي ماليزيا إلى ٦٥٪، ومعنى ذلك أن سورية بحاجة لزيادة ملحوظة للتشغيل أكثر بهذا القطاع وهذا يرتبط بالاستراتيجية التي تستهدف العمل على موضوع الوعي تجاه أهمية العمل في قطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة إذ أننا نفتقر لهذا الوعي، لأن ذلك الأمر يرتبط بالعديد من المؤثرات، كما وأن أحد العيوب الملموسة بسوق العمل السورية عدم التوافق بين مخرجات المؤسسات الأكاديمية مع متطلبات سوق العمل، أو أن قسم كبير من الباحثين عن عمل لا يمتلكون المهارات المطلوبة للحصول على عمل، وهذا الأمر ناجم عن عدم التوافق بين المعروض لدى سوق العمل والمهارات المطلوبة في سوق العمل، ما يقتضي بالضرورة وجود استراتيجية طارئة لردم هذه الفجوة، ووضع الآليات التي تمنع وجود كهذه الفجوة وتمنع تطورها، لأن تشخيص الموارد البشرية وتطويرها لتتلائم مع سوق العمل تحتاج لاستراتيجية ضمن هذا الإطار.

حسب الخطة

كما ستعمل هذه الاستراتيجية –وفقاً لاسمندر- على رفع مساهمة المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الناتج المحلي الإجمالي إلى حوالى ٧٠٪، مشيراً في هذا السياق إلى انخفاض مساهمتها حالياً إلى ٤١٪ بعد أن كانت ما يقارب الـ٦٢٪ عام ٢٠١٠، ما نجم عن ذلك من تراجع التكوين الرأس المالي الثابت في قطاع المشروعات، وتحويل ٧٥٪ من الاقتصاد إلى اقتصاد منظم، كما وتستهدف الاستراتيجية أيضاً أن يكون حوالى ١٦٪ من قطاع المشروعات في المجال الزراعي، وحوالى ٣٠٪ في قطاع الصناعة والبقية في القطاعات الخدمية وما إلى ذلك. منوهاً إلى أن ٩٤٪ من الصادرات السورية غير النفطية ستكون منتجة في قطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة، كقطاع الصحة والسياحة وقطاع المصارف حسب الخطة الموضوعة بالاستراتيجية المرتقبة.

٤٪ فقط..!.

لم يغفل اسمندر أبرز مشكلة تواجه هذا القطاع، والمتمثلة بالتمويل، مشيراً إلى أن حصته من التمويل في سورية لا تتجاوز الـ٤٪ من إجمالي التسهيلات المصرفية، وبالتالي لا بد أن تلحظ الاستراتيجية هذه المشكلة وتعمل على معالجتها من خلال زيادة التواصل بين المؤسسات المصرفية والمالية وغير المصرفية التي تعمل في مجال تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

كانت الحياة تتوقف عندما تغني..

أم كلثوم الفتاة الريفية التي كبرت لتصبح رمزاً لأمة كاملة



"البعث الأسبوعية" ـ فيصل خرتش

أم كلثوم أوسع المغنين شهرة في الوطن العربي في القرن العشرين، وكانت الحفلات التي تنقلها على الهواء مباشرة في ليلة الخميس، الأوّل من كلّ شهر، معروفة بقوتها، ولذلك كان مستمعوها بالملايين، وقد كانت الحياة تتوقف عندما تغني أم كلثوم نحن إذاً أمام قصة فتاة ريفية كبرت لتصير رمزاً ثقافياً لأمة كاملة، ولذلك تعدُّ أم كلثوم، هي وأعمالها الغنائية من الفن الأصيل، الفن المصري والعربي الحقّ، إنها تشارك في انتقاء وصياغة كلمات وموسيقا أغانيها، فضلاً عن تدخلها في تحديد الظروف التي تؤدي فيها هذه الأغاني.

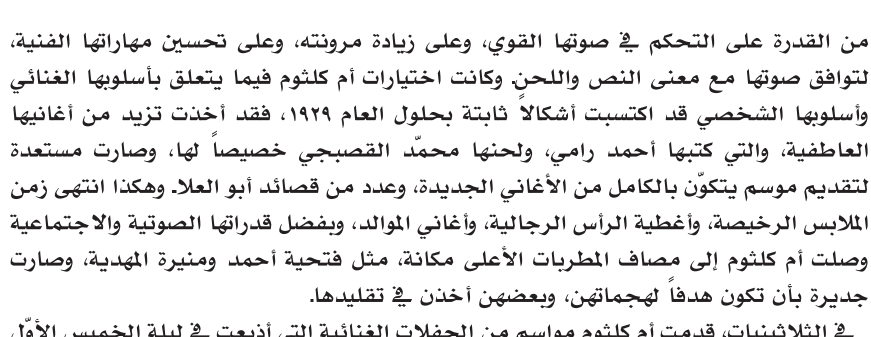
ولدت أم كلثوم لأسرة فقيرة في قرية صغيرة، في الرابع من أيار عام ١٩٠٤. كان أبوها إمام مسجد القرية، وأمّها ربة بيت، ولها أخت وأخ، هو خالد، وكانت الأسرة تسكن في قرية طماي الزهايرة بالقرب من مدينة السنبلاوين، محافظة الدقهلية، بالدلتا؛ وعندما بلغت الخامسة من عمرها، بدأت بالذهاب إلى كتّاب القرية، مثل أخيها خالد، وكان والدها يضيف إلى دخله الضئيل من المسجد بتأدية الأغاني الدينية في الأفراح وغيرها، وكان يؤدي هذه الأغنيات مع ابنه خالد وابن أخيه صابر، وكانت أم كلثوم تستمع إليهم وهم يتدربون، فحفظت تلك الأغاني عن ظهر قلب.

بدأت أم كلثوم الغناء في قريتها، في بيت العمدة، وذلك لمرض أخيها خالد. اشتركت في الغناء وكأنها الصبي الغائب، كانت الذخيرة الغنائية للأسرة تتكوّن من الأغنيات الدينية، ومن بينها أغنيات تحكي السيرة النبوية، ثم جاءتها دعوة للغناء في احتفال إحدى القرى المجاورة، وحصلت على عشرة قروش نظير غنائها. ذاع الكلام عن تلك الطفلة ذات الصوت القوي التي تغني أغاني المشايخ، ولصغر سن أم كلثوم وصوتها الفريد في قوته صارت عنصر الجذب في الفرقة، وصار الزبائن يطلبونها هي بالتحديد، وبدأت قرارات الأسرة تتخذ على أساس امتهان أم كلثوم للغناء، وقد حُلّت هذه المشكلة باشتراط أبوها أن ترتدي أم كلثوم عباءة صبي مع غطاء الرأس البدوي؛ وجاءت الخطوة الأولى التي خطتها في اتجاه إحياء الفن في القاهرة نتيجة ذيوع صيتها، فغنت لتوفيق بك زاهر القاضي بالقرب من دمياط، وأصبح توفيق بك واحداً من وجهاء الدلتا الذين يعزى إليهم فضل اكتشاف أم كلثوم.

في الفترة من العام ١٩١٠ إلى العام ١٩٢٠، زاد أجر أم كلثوم من عشرة قروش إلى ٢٥ قرشاً، ثم إلى جنيه كامل. وفكرة ذهابها إلى القاهرة تعود إلى زكريا أحمد الذي زار السنبلاوين، ومعه الشيخ أبو العلا، للغناء في عدد من ليالي رمضان، وطلبت من والدها أن يدعوهما لزيارة منزلهم، وهناك غنت في حضورهما، وأقنعا والدها بالذهاب إلى القاهرة، وفيها قدمت حفلات ناجحة على مسارح وسط المدينة، كما غنت في بيوت الأثرياء، وفي حفلات الزفاف؛ وهكذا أثبتت وجودها في المدينة كمغنية معترف بها. وفي وقت مبكر من العشرينيات، انتقلت أم كلثوم، ومعها أسرتها، للعيش في القاهرة؛ شجعها على ذلك نجاحها، وما وصلت إليه، فاعتلت مسارح القاهرة. كان هدفها الشهرة والثروة، ومع ذلك فإن خلفيتها الغنائية والثقافية جعلت جماهير مستمعيها يضيفون عليها قيمة من نوع خاص، وكان هذا ضماناً لنجاحها في القاهرة.

بين العام ١٩٢٢ والعام ١٩٢٨، تبدل حال أم كلثوم من المغنية المثيرة للفضول إلى نجمة كبيرة. لقد أدخلت تحسينات كبرى على مهاراتها الغنائية وأسلوبها في الغناء، ومظهرها العام كجزء من سعيها لأن يكون لها رصيد غنائي وهوية مهنية تضمن بها استمرار الطلب عليها، وتحقيق الشهرة والثروة اللتين انتقلت إلى القاهرة بسببهما في المقام الأوّل؛ وانضمت أم كلثوم كمغنية موهوبة، على قدر من الخبرة، إلى حقل النشاط الموسيقي واختطت لنفسها مساراً فيه.

ما إن دخلت أم كلثوم إلى حديقة الأزبكية حتى وضعت نفسها في مصاف العديد من المغنيات الناجحات، مثل توحيدة، ومنيرة المهدية، وفتحية أحمد، وسكينة حسن، وماري جبران. إلخ. ثم تحقق لها أعظم نجاح مع بداية التسجيلات الغنائية التجارية، فقد تعاقدت معها شركة "أوديون"، في عام ١٩٢٣، وقدمتها إلى أحمد صبري النجريدي الذي اتخذ من تلحين الأغاني هواية له، ثم قدّمها ألبير ليفي إلى ملحن آخر هو محمّد القصبجي الذي لحن لها أغنية، وكانت هذه الأغنية واحدة من تسجيلاتها الأولى؛ وقد أصدرت شركة "أوديون" ١٢ تسجيلاً لها، وجميعها أغنيات ذات ألحان جديدة وغير دينية في موضوعاتها. وهكذا لاقت تسجيلات أم كلثوم الأولى إقبالاً شديداً من المشترين، وحققت الشركة من ورائها أرباحاً كبيرة؛ وبفضل هذا النجاح صار بإمكانها أن تحصل شيئاً فشيئاً على عقود مجزية، ومن شدة الإقبال على شراء أسطواناتها كانت ترفع أجرها مع كلّ أسطوانة جديدة، ثم تركت الشركة عندما تلقّت عرضاً من شركة "جراموفون". لقد كانت أم كلثوم تسعى لتكوين رصيد غنائي متنوع، فبدأت في طلب كلمات وألحان وضعت خصيصاً لها، وساعدها في ذلك الشاعر أحمد رامي، وأتى لها والدها بـ محمود رحمي من نادي الموسيقا الشرقي ليعلمها العزف على العود وغناء الموشحات، كما أعطاها بعض الملحنين دروساً في التلحين، ولكن أهم معلميها هو الشيخ أبو العلا محمّد الذي كان على درجة فائقة من التمكن من التراث الموسيقي والموشحات. قام أبو العلا بتحفيظها القصائد والأدوار، وعلمها التلحين والأداء، ومكنها من اكتساب المزيد



من القدرة على التحكم في صوتها القوي، وعلى زيادة مرونته، وعلى تحسين مهاراتها الفنية، لتوافق صوتها مع معنى النص واللحن. وكانت اختيارات أم كلثوم فيما يتعلق بأسلوبها الغنائي وأسلوبها الشخصي قد اكتسبت أشكالاً ثابتة بحلول العام ١٩٢٩، فقد أخذت تزيد من أغانيها العاطفية، والتي كتبها أحمد رامي، ولحنها محمّد القصبجي خصيصاً لها، وصارت مستعدة لتقديم موسم يتكوّن بالكامل من الأغاني الجديدة، وعدد من قصائد أبو العلا. وهكذا انتهى زمن الملابس الرخيصة، وأغطية الرأس الرجالية، وأغاني الموالد، وبفضل قدراتها الصوتية والاجتماعية وصلت أم كلثوم إلى مصاف المطربات الأعلى مكانة، مثل فتحية أحمد ومنيرة المهدية، وصارت جديرة بأن تكون هدفاً لهجماتهن، وبعضهن أخذن في تقليدها.

في الثلاثينيات، قدمت أم كلثوم مواسم من الحفلات الغنائية التي أذيعت في ليلة الخميس الأوّل من كلّ شهر، وداومت على تقديمها في كلّ موسم من مواسم مشوارها الفني حتى عام ١٩٧٣، وصارت تلك الحفلات أحداثاً اجتماعية مهمة ومتميزة، وأبدت اهتماماً بالسينما فور ظهور فيلم محمّد عبد الوهاب "الوردة البيضاء"؛ وفي سنة ١٩٣٥، بدأت تصوير فيلم "وداد"، واختارت فكري أباظة لكتابة السيناريو، ومحمّد عبد الوهاب لمشاركتها البطولة، وعرض بولوس حنا أن يقدم التمويل اللازم لتغطية نفقات الفيلم، وبعد الانتهاء منه بدأت تصوير فيلم "نشيد الأمل"، وثالث أفلامها "دنانير"، وكانت أم كلثوم تشترط أن يكون لها الحقّ في التدخل في الكثير من عناصر أفلامها، وكانت تمارس هذا الحقّ بالفعل، على الرغم من افتقارها إلى الخبرة بالتمثيل.

عُرض فيلم "سلامة" في عام ١٩٤٥، ومثلت أم كلثوم فيه دور جارية مغنية، وغنت فيه موشحاً وقصيدة وموالاً دينياً وفزورة غنائية، وأغنية حزينة أدتها بأسلوب الأغاني التي ينشدها حادي القافلة، كذلك تلت عدداً من آيات القرآن الكريم؛ وبذلك تمكنت أم كلثوم من استعراض مهاراتها في جميع هذه الأجناس الغنائية، وفي الوقت نفسه تمكنت من تصوير نفسها كواحدة من بنات العرب تمتهن الترفيه والغناء البارع.

أما فيلم "فاطمة"، عام ١٩٤٧، فإن أحداثه تجري في القاهرة المعاصرة، وتدور حول المعاملة السيئة التي تلقاها ممرضة فقيرة من ابن باشا ثري. وفيلم "عايدة"، عام ١٩٤٢، هو واحد من أعمال أم كلثوم القليلة التي لم يكتب لها النجاح، وتدور أحداثه حول حياة فتاة مصرية تحلم بالغناء في الأوبرا. إن توقف أم كلثوم عن العمل في السينما يعود إلى كونها شُغلت باختيار أغانيها الجديدة، حتى أنها لم تجد الفرصة للاشتراك في هذه الأفلام.

احتفظت أغاني أم كلثوم بجماهيريتها لعشرات السنين، وظلت أغنياتٌ بعينها تلقى إقبالاً لفترات أطول، وهي "الآهات"، "الأوّلة في الغرام"، "الورد جميل"، "غني لي شوي شوي"، "أنا في انتظارك"، "أهل الهوى"، "الأمل". وفي سنة ١٩٤٦، قدمت أم كلثوم مجموعة من القصائد الجديدة، معظمها من نظم أحمد شوقي وتلحين رياض السنباطي، وهي القصائد التي لازمت أم كلثوم حتى أواسط الخمسينيات، ولم تقدم غير سبع أغنيات.

بعد الأغنيات الرائعة التي شدَت بها أم كلثوم، بدأت تقاسي سلسلة من المحن الصحية، وغيرها من المحن الشخصية، وهنا فكرت في الاعتزال؛ وقد حاولت أن تستأنف برنامجها المعتاد بعد عودتها من رحلة علاجية إلى الولايات المتحدة، في عام ١٩٤٩، ومع ذلك ظلت تعاني من مشكلات صحية.

في عام ١٩٦٠، التقت أم كلثوم بليغ حمدي، وبعد تقديم "أنت فين والحب فين" بدأ يلحن لها أغنية كلّ عام، حتى العام ١٩٧٤، وتميزت ألحانه بأنها ألحان "خفيفة"، وبذلك جاءت مختلفة عن الألحان التي اعتادت أن تغنيها من عمل زكريا أحمد والسنباطي؛ وفي آخر مسيرتها الفنية عملت مع سيد مكاوي، وجاءت "يا مسهرني" لتكون النتيجة الوحيدة المكملة لعملهما معاً.

يعتقد معظم المقربين أن الرئيس عبد الناصر هو الذي قرّب بين أم كلثوم ومحمّد عبد الوهاب، فقد كان معجباً بهما ومن معارفهما الشخصية. وفي عام ١٩٦٠، حصل كلّ منهما على وسام الاستحقاق من الحكومة المصرية. وبدأ المشير عبد الحكيم عامر – بأمر من الرئيس عبد الناصر – مساعيه من أجل عمل مشترك، وكان ثمار عملهما أغنية "أنت عمري"، التي أذيعت عام ١٩٦٤، وأظهرت براعة فائقة في استيعاب الملامح الموسيقية لأساليب موسيقية شديدة التنوع، ثم جاءت "أنت الحب"، و"فكّروني"، و"هذه ليلتي"، و"أغداً ألقاك"، و"دارت الأيام"، وقد استقبلت استقبالاً جيداً، لكنها لا تقارن بأغنيات زكريا أحمد أو السنباطي.

من بين ألحان السنباطي لأم كلثوم صارت "الأطلال" من أحب أغانيها إلى الناس، وهي من شعر الدكتور إبراهيم ناجي، بعد تعديلات أم كلثوم على النصين الأصليين: "الأطلال"، و"الوداع".

إنها قصة مطربة ناجحة في مجتمع يتصف بطبيعته المركبة، ولذا فهي قصة متعددة الأوجه. إنها قصة فتاة ريفية كبرت لتصير رمزاً لأمة كاملة. وهي أيضاً قصة امرأة تؤدي عملها الذي احترفته باقتدار، امرأة اعتمد نجاحها في مجال عملها على بذل جهد مضن كي تشق مساراً لنفسها وسط الأعراف والمؤسسات الموسيقية السائدة. وقد وجدت أم كلثوم وسائل التعبير للتأثير والتحكم في الأعراف والمؤسسات التي كان لها صلة باشتغالها بالغناء، وكان غناؤها ينظر إليه على أنه مثال معاصر جدير بأن يحتذى لفن عربي قديم يحظى باهتمام الجماهير.



«الكتاب الإذاعي» لمواجهة أزمة القراءة

«البعث الأسبوعية» ـ سلوى عباس

في تجربة مميّزة، قدمت إذاعة «شام أف أم» مشروع «الكتاب المسموع» بالتعاون مع شركة «فردوس دراما»، وبصوت الإعلامية هيام حموي، والفنانة لورا أبو أسعد، ومجموعة من الفنانين السوريين، وإخراج سيف أبو أسعد. وعن هذه التجربة، تحدثت الإعلامية «هيام» قائلة: الفكرة ليست جديدة، فهي منتشرة في أوروبا كثيراً، وموجهة لمن لا يستطيعون القراءة بسهولة، ومهمة أيضاً لمن لا يسعفهم وقتهم بالقراءة. كانت الفكرة أن نبدأ بالكتب التي نحبها، وبعدها نتوسع بالمشروع دون أن نعرف إلى أين قد يصل، فكانت التجربة الأولى مع رواية «مزرعة الحيوانات»للكاتب جورج أورويل. لكن ردود الفعل جاءتنا عبر دار نشر تديرها سيدة اهتمت بالموضوع، وأثنت على اختيارنا لهذا الكتاب، لأنه مهم ومقرر في مناهج الدراسة الأمريكية، وهم يقترحونه على الطلاب في كل عطلة صيفية، لتدور النقاشات حوله عند العودة إلى المدرسة، إذ تدور فيه حوارات على ألسنة الحيوانات حول الديمقراطية وطبائع الناس، فأجبناها: هو مستمر من أيام ديدبة وابن المقفع والجاحظ ولافونتين، والكتاب لأورويل وقد تنبأ فيه بأمور تحصل الآن، وقد أحببت فيه أن هناك أطفالاً معجبين بالبرنامج.

وأضافت هيام: في تصفّح عاجل لمضمون الرواية، نلمس المفاهيم الإنسانية والأخلاقية الكثيرة التي تنطوي عليها، ومن هنا تأتي ضرورة تحليل المفاهيم التي أراد الكاتب انتقادها بأسلوبه الأدبي من خلال روايته هذه، مع الأخذ بالاعتبار توجهات وأفكار الكاتب السياسية، إضافة لتحليل الشخصيات الأساسية في الرواية، وتحليل الجانب الإنساني لكل شخصية، فرغم أن الكاتب حاول انتقاد شخصيات سياسية من واقع الحياة إلا أنه استخدم شخصيات من الحيوانات حتى لا يكون النقد مباشراً، وليتخفى في إطار خيالي بعيد عن الواقع.

ثم أعادت الإذاعة التجربة، مع الكادر ذاته، عبر كتاب مهم ومثير، هو «الأمير الصغير» الذي يستمد خصوصيته من حياة كاتبه الذي انشغل بالهمّ الإنساني، وسعى إلى الغوص في جوهره عبر التأمل والحكمة، باحثاً عن المعنى الروحي للوجود، وهو القائل: «لا نرى إلا بواسطة القلوب، وجوهر الأشياء لا تراه العيون».

يختصر الكتاب كلّ ما كان يهواه الكاتب أنطوان دو سانت اكزوبيري، الذي يقول عنه أصدقاؤه إنه «لم يكن يهوى من الحياة سوى اللهو والغناء والرسم». من هذه الهواية، تطالعنا رسوم كانت ولادتها نتيجة لقاءات وصداقات ومصادفات، تمّ جمعها من حول العالم، مع رسائل كان وجّهها إلى الأصدقاء والعائلة، وتحمل تواريخ مختلفة، وتتوزع على قارات ومدن زارها الطيار المغامر، ومنها الجزائر،الدار البيضاء، نيويورك، باريس.

لقد شكّل كتاب «الأمير الصغير» حالة من الدهشة والسحر لكل من قرأه، فهذه القصّة تُشكّل جزءاً من طفولة الكثيرين في العالم، وهناك جهات إعلامية وفنية وثقافية كثيرة جهدت لتقديم مسرحيات مقتبسة عنها، ومعارض وندوات وطبعات جديدة، وإنجازها كفيلم سينمائي، وكانت «منظمة أنطوان دي سانت إكزوبيري» قرّرت تحويل رسوم القصة إلى صور ثلاثية الأبعاد كي يتمكّن المكفوفون من قراءتها، وقامت أيضاً بترجمة الكتاب إلى رمز «بريل» الخاص بفاقدي البصر. ومن هنا جاءت «عالمية» هذا الكتاب الذي أضحى قصّة كلّ الأمكنة والأزمنة.

وفي عودة إلى تجربة «الكتاب الإذاعي» التي تميزت إذاعة «شام أف أم» بتقديمها، فهي تجربة مهمة وضرورية، خاصة في وقتنا هذا، حيث أصبح الكتاب يعاني أزمات كثيرة تبدأ بغلاء سعره، مروراً بتراجع القراءة، ومنافسة وسائل الاتصال المتعددة التي شغلت الناس ليس عن القراءة فقط بل وعن أنفسهم، وعن التواصل مع أسرهم ومجتمعهم من هنا نتمنى على القائمين على إذاعة «شام أف أم» أن يستمروا في هذه التجربة المهمة، وجميل جداً أنه يعاد الآن بث رواية «الأمير الصغير» عبر أثيرها، ونتمنى على باقي الوسائل الإعلامية الأخرى، من إذاعات وقنوات تلفزيونية أن تلحظ في خططها البرامجية برامج تماثل في أهميتها تجربة «الكتاب الإذاعي» التي طرحتها «شام أف أم».

الإيمان والعقلانية في أعمال دوستويفسكي

«البعث الأسبوعية» - ترجمة: علاء العطار

تمثل خطوط المعركة في الحرب المفترضة بين العقلانية والتقاليد وبين العلم والإيمان، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بوابةً مناسبة للدخول إلى حياة وأعمال فيودور دوستويفسكي. نظر الروائي الروسي إلى العالم من منظور كوني، حيث تؤدي اللاعقلانية الفلسفية دوراً حيوياً في معظم رواياته. ومثلما تفعل المواجهة الإيديولوجية المستمرة بين العقلانية والإيمان، لا يمكن للعقل في نظر دوستويفسكي أن يفسر الوجود البشري بأكمله، ففي رسالة إلى أخيه ميخائيل، عام ١٨٣٨، ادعى دوستويفسكي أن "معرفة الطبيعة والروح والله والحب لا يمكن أن تتأتى إلا بالقلب، لا بالعقل، فالعقل ملَكَة مادية".

نشر دوستويفسكي روايته الأولى، "الفقراء"، في عام ١٨٤٦، وكان التوتر القائم بين الروحاني والمادي في كتاباته لا يزال في تغير مستمر في هذه المرحلة المبكرة من حياته المهنية، إذ كان لا يزال يقتطف الأفكار من أدباء سان بطرسبرغ، أصدقاءً وأعداء، وخاصة دائرة بيتراشيفسكي التي كانت آنذاك تجمعاً صغيراً من الكتاب والنقاد المتحمسين الذين يلتقون أسبوعياً لمناقشة الأدب والفلسفة والسياسة.

يقول الأديب الأمريكي الراحل جوزيف فرانك: إن الأدب الروسي المبكر كان لاهوتياً في غالبه، تتحكم فيه المُثُل الدينية المستمدة من المسيحية البيزنطية. تغير ذلك في أواخر القرن السابع عشر، مع اعتلاء بطرس الأكبر العرش، فقد شرع القيصر بتحديث الإمبراطورية الروسية، واعتقد أن على طبقة النبلاء المتعلمة إعادة تثقيف نفسها وفقاً للمعايير الغربية؛ وهكذا حدث الانقسام في المجتمع الروسي بين الطبقة الحاكمة العلمانية والفلاحين الأميين الذين يخشون الله.

تسبب ذلك في انشقاق بين المثقفين الروس أيضاً، إذ بات الماديون العقلانيون يُعرفون باسم "الغربيين"، فكانوا يتحدثون الفرنسية بالدرجة الأولى، واحتقروا لغتهم وتقاليدهم، وتعبّدوا على مذبح الثقافة الأوروبية. وسعى مناصرو السلافية إلى ربط مستقبل روسيا بقيمها التاريخية الأولى، وهي إيمانها بالمسيحية، إذ اعتقدوا أن أوروبا ستنهار مثلما انهارت روما، ولاحظوا أوجه التشابه الصارخة بينهما: التضحية بالوحدة الروحية في سبيل الانحطاط المتمركز حول الذات، والاعتلال الأخلاقي، والشهوانية المنحرفة. بدأ دوستويفسكي حياته المهنية كغربي شكوكي، لكنه أصبح في النهاية مناصراً ملتزماً بالسلافية.

ترسخت هذه الهوية الروحية والثقافية عند دوستويفسكي في لحظة تحولٍ حدث فجأة في عام ١٨٤٩، ثم ألقي القبض عليه إلىَ جانبٍ من تبقى في دائرة بتراشيفسكي، وكان ذلك جزءاً من خطة أكبر وضعها نيقولا الأول لقمع الحرية الفكرية في المجتمع الروسي، لأنه كان يخشى أن تُهدد النظام الاجتماعي.

أمضى دوستويفسكي نحو عقد من الزمان بعيداً عن الحياة العامة في روسيا، وتطلب منه الجزء الأخير من عقوبته أن يخدم كجندي في الجيش الروسي. قضى أربع سنوات في سجن سيبيريا مع الفلاحين المدانين، لكن الجرح النفسي الدائم لحق به في بداية عقوبته. دعا القانون الروسي، في ذلك الوقت، إلى تنفيذ حكم إعدام وهمي في الحالات التي عُفي فيها من حكم الإعدام. وهكذا جرى إعداد الإجراءات اللازمة لذلك في قلعة بطرس وبولص في سانت بطرسبرغ حيث سُجن دوستويفسكي. كان السجناء معصوبي الأعين، ووقفت أمامهم فرقة الإعدام، واصطفت إلى جانبهم عربات نقل التوابيت، ووصل كاهن ليسمع اعترافاتهم الأخيرة.

أعاد دوستويفسكي إنشاء المشهد في عام ١٨٦٨، في روايته "الأبله". يتذكر بطل الرواية سماعه قصة من رجل يظنّ أن بضع دقائق تفصل بينه وبين حتفه. يوضح الأمير ميشكين [بطل الرواية] المشهد: "كانت شكوكه وإعراضه أمام المجهول مريعة". لكن الأدلة ما زالت موجودة في السيرة الذاتية التي كتبها نيقولاي سبيشنيف الذي كان، أيضاً، جزءاً من دائرة بتراشيفسكي، إذ استذكر فيها اللحظة التي بدأ فيها الرجلان [هو، ودوستويفسكي] يفكران في احتمال الموت الفوري، عندها التفت إليه دوستويفسكي وقال: "سنكون مع المسيح".

أصبحت الرمزية المسيحية في روايات ما بعد سيبيريا حاضرة في كل أعمال دوستويفسكي، حيث كان يتكرر ظهور موضوع واحد باستمرار، وهو الصراع المستمر بين الخير والشر، إذ نشهد في روايته "الجريمة والعقاب" (١٨٦٦) عالماً تُدمر فيه الثقة بالعقل وحده كلَّ الروابط العاطفية بين البشر. وفي روايته "الشياطين" (١٨٧٢)، يعلن شاتوف بصراحة أن "العقل [لا يمتلك] مطلقاً القدرة على تعريف الخير والشر"، وفي رواية "الأخوة كارامازوف" (١٨٨٠)، يُقدَّم الإيمان بمصطلحات أساسية تعبر عنها العبارة: "لا شيء أهم من التفاني المطلق في التزام تعاليم السيد المسيح".

في كتاب "دوستويفسكي مؤلف عصره"، يلاحظ جوزيف فرانك كيف أن "الحياة في نظر دوستويفسكي كانت - كما نظر إليها كيتس - وادياً تُصنع فيه الروح، وجاء إليه المسيح ليدعو البشر لمحاربة موت الانغماس في المادة، ولإلهامهم للنضال من أجل تحقيق نصر نهائي على الأنانية".

اعتنقت معظم روايات القرن التاسع عشر العقلانيةَ بشدة، وكانت تتماشى بشكل جيد مع القيم المنظمة للمجتمع البرجوازي، خاصة تعلقه ضيقُ الأفقِ بالثروة والمكانة الاجتماعية والنجاح المادي لكن أعمال دوستويفسكي كانت مناقضة لذلك، فهي أقرب إلى المأساة الشعرية: عالم تلتقي فيه العلاقات الاجتماعية والميتافيزيقا الدينية مع الأحلام والرؤى غير المقيدة بالمكان أو الزمان أو المادة. وغالباً ما زعم أشد نقاد دوستويفسكي أن قسوة رواياته لا تعكس حقيقة العصر الذي كان يكتب فيه. وأشاروا أيضاً إلى أن سَجن شخصياته الباثولوجية في مصحة عقلية سيكون أفضل من تلويث صفحات المجلات الأدبية الروسية المرموقة.

لكن يبدو أن هؤلاء النقاد أخطؤوا في قراءة النقطة المركزية في إبداع دوستويفسكي، وهي أن "الحقيقة نفسها مفهوم مشكوك فيه". ويبدو أن هذا يفسر سبب عمل شخصيات دوستويفسكي باستمرار ضمن إطار أُخرويّ، وإذا كان القلق والشعور بالذنب والشك هي المشاعر السائدة، فلا شيء يدعو إلى الاستغراب، فهم يقضون معظم أوقاتهم في التفكير في الجحيم أو الجنة في عالم ما بعد القبر. يمنح هذا الإطار الأخلاقي والأسطوري قرّاء دوستويفسكي الأدوات اللازمة للتفكير في موضوع آخر من موضوعاته المركزية، وهو التعالي الأخلاقي، وهذا الإطار الأخلاقي يتصل بالكتاب المقدس اتصالاً وثيقاً.

شعر دوستويفسكي أن أي فرد يمكنه تحقيق ذلك إن امتلك قوة الإرادة. وبمجرد أن يُسيطر الفرد على الأنا، سيتحرر من سلاسل الغرور النرجسية. وفي النهاية، يمكن للفرد أن يتجاوز دوافعه وشهواته الأنانية. عندها فقط، بحسب اعتقاد دوستويفسكي، تصبح الحرية الحقيقية ممكنة. تظهر كلمتان رئيسيتان مهمتان هنا: التقبل والإيمان. أن نتقبل أننا لا نملك مطلقاً سيطرة كاملة على الحياة الفردية والجماعية التي نعيشها، والتي هي في الحقيقة مجرد مجموعة عشوائية من الأحداث ليس لها مسار أو نمط محدد مسبقاً. والإيمان بفكرة أننا نعيش في عالم سيكون موجوداً دائماً خارج نطاق الفهم البشري.

الأمير السوري الصغير

"البعث الأسبوعية" ـ رامز حاج حسين

"B612" كوكبي الحبيب

لطالما أسرتني تلك العبارة التي كانت تستهل مقدمة حلقات مسلسل كرتوني شهير بعنوان "الرحالة الصغير" يتحدث عن رواية "الأمير الصغير" للكاتب الفرنسي الملهم أنطوان دو سانت اكزوبيري. كانت العبارة تتحدث عن فتى صغير وحيد يعيش على كوكب في المجموعة الشمسية مجهول الهوية والمكان، قرب نجم ساطع. يسمى هذا الكويكب بالكوكب ب ٦١٢، والتسمية نفسها تفتح في ذهني كل ملامح العمليات الرياضية التي ما أفضت يوماً إلا إلى الدهشة والخيال.

لماذا يكون اسم الكوكب حرف ب!؟ ولماذا رقمه ٦١٢!؟ ولماذا لا يقطنه إلا هذا الفتى الصغير وحيداً مع معشوقته الوردة الجورية الحمراء!؟

مثل هذه الأسئلة، لو تمعن بها كاتب قصص الأطفال والرسام لحصل على مفاتيح مهمة لكتاباته وألوانه، ليتمكن، فيما بعد، من القيام بعمل ثقافي إبداعي نحو مخيلة الطفل، ويضمن لنفسه - مع كل جانب من جوانب الإجابات التي سيتفتق عنها خياله - أن يمتلك الدهشة والغموض والفضول لقارئه الصغير بعد طباعة عمله الملهم.

قلنا مراراً إن الدهشة هي أول معالم الإمساك بمخيلة الطفل وقت قراءة القصة، أو وقت رسم لوحاتها، فالطفل بحاجة لجرعة عالية من الخيال والإبهار اللغوي والبصري، لكي يتمكن رعاة الوجبة الثقافية من الإمساك بتلابيب عقله نحو دفتي الحكاية، فلا يخرج الطفل وهو غارق في دهشته إلا والوجبة الفكرية والبصرية قد دخلت مكانها الأمين، واستقرت في مخيلته.



.. وحب الوردة الجورية

عن فكرة أن يحب الطفل الصغير، وهو أمير الكوكب، كائناً حياً صغيراً وضعيفاً يحتاج الرعاية لهو أمر غاية في الأهمية. من هنا نستطيع أن نغرس في الطفل حب الغير والتعاطف النبيل مع الضعيف ومساعدة الصغار والمخلوقات الرقيقة، ولك أن تعدد ما شئت من القيم النبيلة التي يمكن أن نجاريها لو كتبنا حبكة قصصية بمثل هذه البساطة والروعة.

نفتقد في لوحات أطفالنا ولغتهم البصرية الكثير من هذه القيم والمعاني، وحتى في قصصهم؛ وإن أردنا الإنصاف أكثر، فلنقل أنه من النادر أن نقارب هذه القيمة بطريقة غير تلقينية، وبطريقة غير فجة ومباشرة، فهناك محاولات عديدة لكنها تبدأ بالأوامر العليا من قصرنا الأدبي العاجي نحو ذهنية الطفل المتلقي: ابتعد عن قطف الأزهار. لا تؤذ الحيوانات الصغيرة. لا تكسر أغصان الشجرة!!

مجرد طرح النهايات أو الخواتيم للقصص، بطريقة كهذه، فإنها ستكون محرضات نفور من قبل الطفل وعقليته لتلقي كل ما هو مفيد في تلك الحكاية.

أسلوب المجاراة والركض قرب حدود الخيال

الطفل بحاجة دائماً لما أطلق عليه أسلوب المجاراة، مجاراة عقل الطفل وخياله، فكاتب القصة وفنان اللوحة الموجهة للطفل يجب - من كل بد - أن يكون أكثر المثقفين سعة اطلاع وثقافة وفهماً للحياة، وعليه أن يكون عالماً ورياضياً وباحثاً وفلكياً ومهرجاً، وكل ما يمكن أن تتضمنه حكاية الطفل من مشارب.

ولا مبالغة هنا في كلامي، فالمطلوب واضح للعيان: أن يكون ملماً ببحث قصته ولوحته، ومدركاً لما سيتم الغوص فيه.

ذهنية الطفل بكر خام ينبع منها آلاف الأسئلة العظيمة في كل دقيقة، ويتأتى منها ألف خيال مجنح وخيال، ولكي تقدر على مجاراة هذه البيئة الخام التي تريد التصدي لمفرداتها، عليك أن تتقن فن الرقص مع الخيال، وفن مداعبة الريح الوردية في مخيلة الطفل، وروح الأسطورة المعتقة، ونبض الحكاية الشعبية الأصيل، ثم تضيف لكل هذا ثقافتك وعلومك وبحثك الحثيث عن الأفضل.

وحين يتم لك التمكن من هذه الأدوات، أشرع قماش مخيلتك للريح، ثم أبحر بكلماتك اللامباشرة عن الموضوع، وأحضر مفرداتك البصرية من رسوم ومخلوقات وتعابير ملونة، لتقول للطفل: أنا هنا أريد خوض التحدي مع مخيلتك الجميلة، ولنبدأ في الحوار!

الأمير السوري الصغير

دائماً، وأبداً، اختم أي حوار أو نقاش أو مقال بعبارة "إن السادة السوريين الصغار يستحقون منا - نحن المشتغلين بأدب الطفل وفنه - كل المحبة والخير، وكل التعب والتفاني، في سبيل إيجاد منظومة ثقافية نبيلة تليق بمستقبله".

فكرة مشروع "الأمير السوري الصغير" و"أميرته السورية الصغيرة" أن يكون في المراكز الثقافية كوات أمل يطل منها كتاب القصص الطفولية ورساموها على أطفال منطقتهم ومدينتهم، من خلال ورش عمل مفتوحة دائمة ودورية، يتعلمون منهم مفردات الخيال، ويعلمونهم مفردات الكلمات الفصيحة والجمال في اللوحات. وسيخرّج كل منبر ومركز ثقافي، في كل ورشة، ١٠ كتيبات وقصص، وستخلق تلك الحال روح المنافسات، وسيتم تبني الإنتاجات عبر دور النشر والوزارات المعنية، فيصبح لنا كتب جديدة تجاري كتب التربية، ومجلات يصنعها الأطفال وأدباؤهم وفنانوهم تجاري بخطواتها مجلات الثقافة والتربية والإعلام، وسيكون لنا سوق تنافسية خام تشبه نهضة مجلات "المانغا" اليابانية التي غزت العالم بالمنتج الياباني الفني والأدبي الخاص بهم.

كما سيكون لنا، في كل بيت وحارة وقرية، أمير سوري صغير يسعى ليعمر كوكبه الصغير بالحب والنبل، ويرعى أميرته السورية الصغيرة، ووردتها الجورية، بكل ما سنربيه عليه من قيم وحب وجمال، كي نحصنه من الفكر الغريب الوافد من خارج حدود الأخلاق السورية.

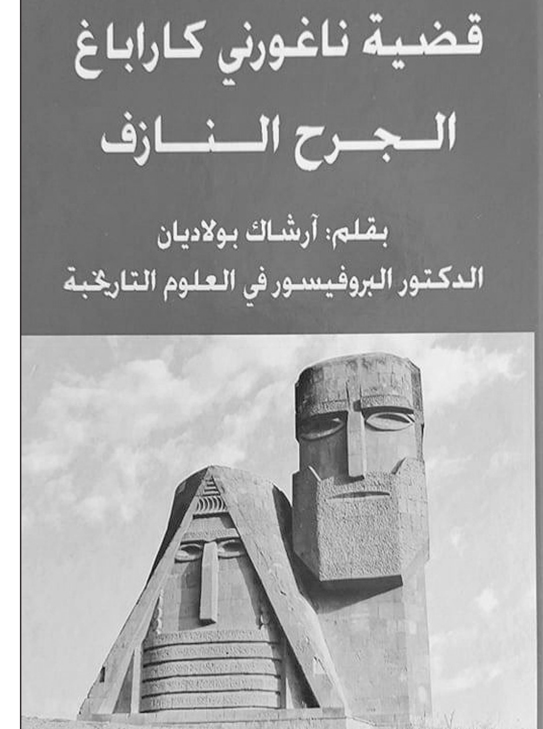
ناغورني كاراباغ.. الجرح النازف

"البعث الأسبوعية" ـ عُلا أحمد

عادت إلى الواجهة السياسية مشكلة الصراع الأرمني الأذربيجاني، حيث اندلعت مواجهات عسكرية بين أرمينيا وأذربيجان عبر وابلٍ من القصف المدفعي تخللها نشر للدروع الثقيلة على طول خط التماس الفاصل بين الدولتين حول إقليم ناغورني كاراباغ، والذي سرعان ما تحول إلى صراع عسكري محتدم بين الدولتين. مشكلة ناغورني كاراباغ أو "آرتساخ" الأرمنية هي تاريخ شعب اغتصبت حقوقه التاريخية قسرياً في عشرينيات القرن الماضي لخلفيات سياسية وجغرافية واقتصادية، بعد اتخاذ قرار بشأن ضم هذا الإقليم الأرمني مع تراثه وحضارته إلى جمهورية أذربيجان، بحيث يتمتع بحكم ذاتي، بأوامر من ستالين، في الخامس من تموز ١٩٢٠، لإرضاء قيادة أذربيجان السوفييتية.

هذه القضية التي تحمل في طياتها صراعاً قديماً جديداً، كان الدكتور البروفيسور في العلوم التاريخية آرشاك بولاديان، قد سلط الضوء عليها في كتاب حمل عنوان "قضية ناغورني كاراباغ الجرح النازف" الصادر عن دار الشرق بدمشق للطباعة، عام ٢٠١٨.

يقدم البروفيسور في البداية لمحة تاريخية عن إقليم آرتساخ الذي يقع في الجزء الشرقي من مرتفعات أرمينيا، من حيث الموقع الجغرافي والتاريخي والسياسي، ويتناول في الفصل الثاني، الذي حمل عنوان "ظهور العنصر التركي في الشرق الأوسط ودوره السلبي بالنسبة لأرمينيا"، الغزوات التي تعرضت لها آرتساخ من قبل الأتراك السلاجقة والتتار المغول، والتي فرضت واقعاً جديداً لهذا الإقليم أدى لاتحاد خمس ممالك (ديزاك، غيوليستان، جرابيرد، خاتشين، فاراندا) في وحدة سياسية إدارية أصبحت معروفة في تاريخ آرتساخ باسم الممالك الخمس، وشكلت تحالفاً عسكرياً للدفاع عن نفسها من هجمات الأتراك والفرس، ثم أصبحت



وحدة إدارية جديدة هي كاراباغ.

بعد نهاية الحروب بين القيصرية الروسية وإيران الشاهنشاهية، انتقلت كاراباغ — آرتساخ، إضافة إلى ولايات أرمينيا الشمالية الشرقية الأخرى، إلى سيطرة روسيا وفق اتفاق صلح كوليستان، في عام ١٨١٣، المبرم بين الطرفين. هذا ما تابع به البروفيسور آرشاك بولاديان في فصل "آرتساخ في حضن القيصرية الروسية"؛ ففي عام ١٨٤٠، وبعد التقسيم الإداري في منطقة القوقاز الخاضعة للقيصرية الروسية، انضمت كاراباغ إلى مقاطعة قزوين، وفيما بعد إلى مقاطعة يليزا فيتابول، حسب إصلاحات عام ١٨٦٧، وبقي الوضع على حاله حتى الحرب العالمية الأولى.

يعود الجدال حول كاراباغ، إلى ما بعد انطلاق ثورة أكتوبر في عام ١٩١٧، وانهيار الإمبراطورية الروسية، وانسحابها من الحرب العالمية الأولى، حيث الاعتراف بحق تقرير مصير للشعوب التابعة لروسيا السوفييتية من خلال سياسة «العقيدة الوطنية» التي أطلقها لينين قائد الثورة البلشفية؛ إذ يشير فصل "آرتساخ بعد ثورة أكتوبر البلشفية" إلى إعلان كلّ من أرمينيا وأذربيجان وجورجيا استقلالها، ومسارعة أذربيجان بالإعلان عن حقها في السيطرة على إقليم آرتساخ بالقوة العسكرية، وطبعاً بدعم تركي. ويتناول المؤلف التطورات السياسية التي جرت من خلال إبرام معاهدات واتفاقات وقرارات والتراجع عنها وإعادة النظر فيها، إلى أن وصل الأمر إلى سلخ إقليم كاراباخ وإبقائها في إطار أذربيجان ومنحها حكما ذاتياً ضمن حدود المقاطعة ذاتية الحكم.

استعرض المؤلف تفاصيل سياسة التمييز العنصري ضد الأرمن من خلال عمليات العنف وتنظيم عمليات التصفية العرقية والتهجير بحق الأرمن على أراضي أذربيجان، ومانتج عنها من مذبحة سومغاييت، عام ١٩٨٨، وصولاً إلى تفاصيل إعلان استقلال كاراباخ في أيلول ١٩٩١ وماتبعها من حرب مناهضة للأرمن، وعمليات المفاوضات والتسوية السلمية عام ١٩٩٢، وبدء المفاوضات في إطار عملية مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي.

حافظ الشيرازي.. لسان الغيب

«البعث الأسبوعية» ـ محي الدين محمد

إذا كان الشّاعر هو الذي يقف على ساحل اللّجة، بانتظار الخوض في عباب اللّغة، عبر وعيٍ فطريّ تعمّق فيه إحساسه تجاه ذاته أولاً، وعالمه ثانياً، فطاف مع الأمواه التي كانت وسيلته في الكشف عن الأعماق، وقد انتصرت الرّحلة أيّاً كانت المسافة التي وصل إليها، وقد تنبّهت إلى إيقاع صوته على الضّفاف كلّ الأذهان وهي تصغي بإمعان لما يقول، وتطمئنّ على موضوعاته في تنافسها الأزلي حول ضرورة الحاجة الدّائمة لانتصار الحلم الشّعري الذي عصفت به أمواج البحر حتى امتلك أفلاكه، واستوطن معه الشّاعر تحت سقف الخطيئة التي ظلّلت آدم في رحلته لتظلّ القصيدة سؤالاً على الشّفاه، وسحراً يجدّد عشّاق التّجلي البعيد.

بهذا المعنى، سوف أقرأ في الأقاليم وما اشتغل فيها، شمس الدّين محمد، حافظ الشيرازي، وشاعر الشّعراء في إيران، كما قيل فيه إلى يومنا هذا — وهو لم يكن شاعر طبقة بعينها، وإنّما أفاد من شعره، المثقّفون جميعاً، وحتى سائقُ السّيارة، وراعي الأغنام والماعز، والباعة في الأسواق، وكلّ الأجيال الشّابة، فقيرها وغنيّها على حدّ سواء، ورغم معاناة الشّاعر في طفولته بعد وفاة أبيه، حيث لقي معاملةً صعبة من سيّده في المخبز، وبعد انتهاء عمله كان يتوجّه إلى مدرسة كانت بقرب سكنه ويدفع من أجره اليومي إلى معلّمه لقاء تحصيل الدّروس وبمساعدة أمه.

واستطاع حافظ الشّيرازي، كشاعر، أن يريح كلّ الخواطر التي انفعل أصحابها بشعره، وأن يحرّض المشاعر عند مؤيّديه محليّاً وعالميّاً لمتابعة ما يقوله، وما ينشره، وقد اعترضته في حياته قضيةً اعترف بفشله معها، وهي حبه لفتاة اسمها شاخِ نبات، مما اضطّره لأن يهجر كتابة الشّعر مدّة أربعين يوماً، وقد تفرّغ في سرّه للخلاص من أزمة عزلته، فوجد عوناً من الإمام علي، كرم الله وجهه، حيث أطعمه خبزاً سماوياً كما يقول مترجم أعماله، الدّكتور إبراهيم شرابي، وقد أطلق عليه قرّاء شعره بأنه "لسان الغيب"، و"ترجمان الأسرار".

وفي الحديث عن عصر الشّاعر حافظ الشّيرازي، يمكن القول إنّه عصر القلق والاضطرابات، وكان لمدينة شيراز حصّتها من المعاناة، بسبب وقوعها تحت سلطة الحكّام الذين كانوا يتطاحنون فيما بينهم ويتنازعون على السّلطة في إدارة الشّأن العام.

لكن حافظ، وهو رجل كياسة، وذوقٍ، ونباهة تحملها أناقته الرّوحية، ظلّ متفرّجاً دون أن يضعف في إزاحة السّتار عن سلوكه الشّعري الذي قال عنه أحد محاوريه، وهو الشّاه شجاع، بأنه يعتمد فيه على ثلاثة أنواع، وهي الشّراب والتصوّف والأحبّة، وقد اعترف هو بهذا الرّأي دون أن يعلّق عليه، أو ينفي ما جاء فيه. كيف لا؟ وهو القائل:

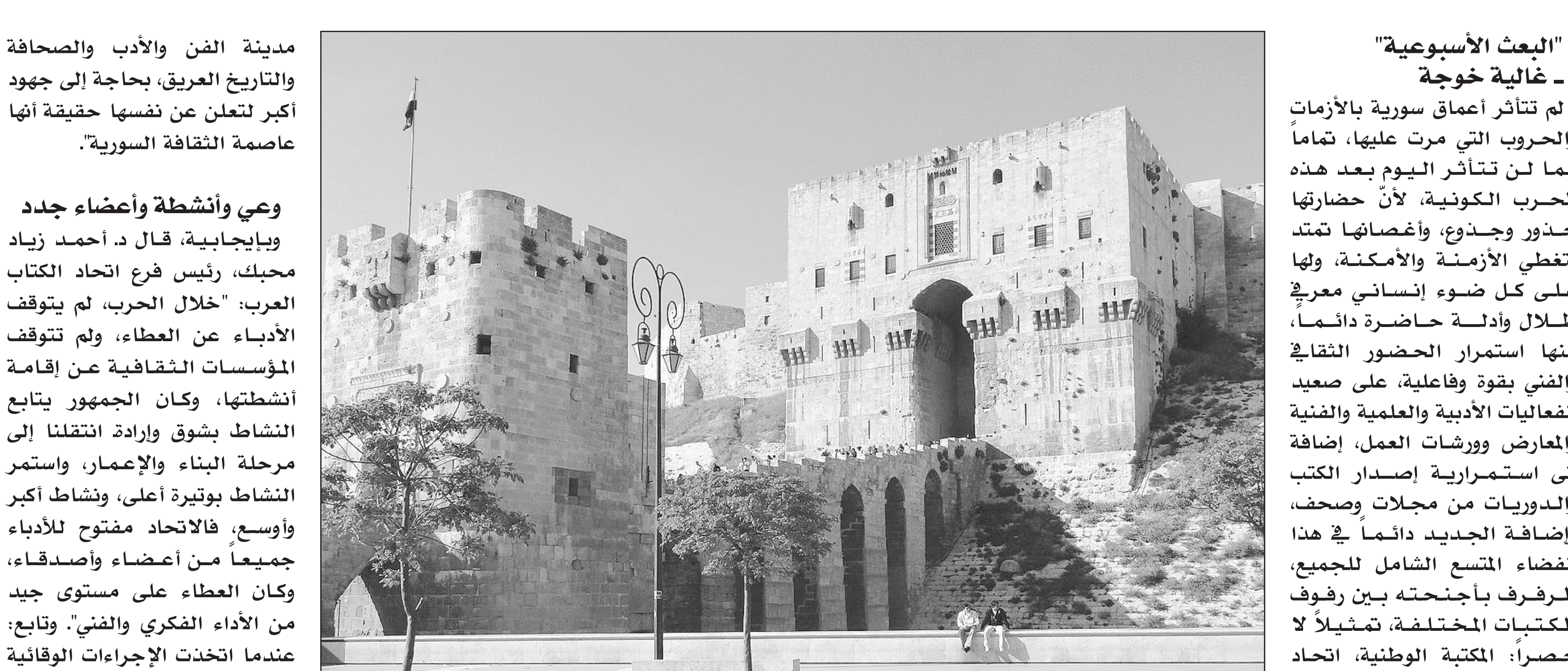
"أيّها السّاقي أشعل بنور الخمر كأس شرابي، وأنت أيّها المطرب، غنّ لي، وقل أصبحت الدنيا وفقاً لمرادي".

وفي الجانب الفلسفي والجمالي الذي بنى عليه شعره، تودّد إلى الجيل الشّاب، فذكّر بالرّبيع الذي يتضوّع بأريج الورد العاطر وبالخمر الصّافية التي تروي القلوب العطشى، كما أنّه لم ينسَ أجيال الخريف الثّاني الذين ضربهم العجز، واستضافهم خطر الرّحيل، فأشار إلى دور التّفاؤل وأنثره في حياتهم الباقية حتى لا يكونوا عالة على أنفسهم، وفي هذا التّفاعل دلّل الشّاعر على موهبته في احتضان البيئة التي طلع منها شاعراً، وقد هبّت عليه نسائم الأمكنة كلها، فنالت اهتماماً بإبداعه. وكان حافظ الشّيرازي — وباعتراف الدكتور طه حسين — لم ينل من الاهتمام عند المثقّفين العرب كما نال عند غيرهم من الشّعوب الأخرى، ولا سيّما الهنّد، وتركيا، وألمانيا، ولم يغفل في نقده لحكام عصره حين صار كهلاً فوصف سلوكهم مختصراً بأنهم أسرة نكدة الحال مفكّكة الأوصال، وفي هذا دلالة واضحة على أن المبدعين هم الأكثر فهماً لإدارة البلاد.

حلب الثّقافة ما بعد الحرب وما بعد كورونا..

شيء من عافية مستعادة!!

"البعث الأسبوعية" ـ غالية خوجة



لم تتأثر أعماق سورية بالأزمات والحروب التي مرت عليها، تماماً كما لن تتأثر اليوم بعد هذه الحرب الكونية، لأنّ حضارتها جذور وجذوع، وأغصانها تمتد لتغطي الأزمنة والأمكنة، ولها على كل ضوء إنساني معرفيٍ ظلال وأدلة حاضرة دائماً، منها استمرار الحضور الثقافي والفني بقوة وفاعلية، على صعيد الفعاليات الأدبية والعلمية والفنية والمعارض وورشات العمل، إضافة إلى استمرارية إصدار الكتب والدوريات من مجلاتٍ وصحف، وإضافة الجديد دائماً في هذا الفضاء المتسع الشامل للجميع، المرفرف بأجنحته بين رفوف المكتبات المختلفة، تمثيلاً لا حصراً: المكتبة الوطنية، اتحاد الكتاب العرب، المراكز الثقافية، مكتبة الجامعة، ومكتبات المدارس.

والمتابع للمشهد الثقافي في حلب، سيلاحظ هذه الاستمرارية بتفاوتاتها المختلفة، وخطها البياني المتأرجح بين الصعود والهبوط تبعاً للظروف المتنوعة للبنى الحياتية الحالية الضاغطة بمختلف المجالات.

ولذلك، لا بد من المكاشفة والنقد، و"الاستئناس"، ليكون المشهد فاعلاً ومنجزاً لأهدافه وغاياته، ولابد من استثمار اللحظة السالبة وتحويلها إلى موجبة وإيجابية، تشرق من خلال العقول والمخيلة وتستمر في البناء والإعمار الداخلي للإنسان وأعماقه، وللمكانِ وتطوراته، ما ينتج حالة أكثر وعياً ونضجاً حياتياً وإبداعياً، وأكثر ملاءمة للعصر وأساليبه.

كما لا بد من التسارع في التطوير الأدائي والنوعي، وهذا يحتمل العديد من الاقتراحات والحلول، أهمها تأصيل الحداثة وتحديث الأصالة، والتجديد سواء من حيث النص الثقافي والفني، أو من حيث تفعيل الإجراءات الابتكارية في تقديم الفعاليات مثل توظيف الأماكن العامة في إقامة الأمسيات والمعارض الفنية ومعارض الكتب، وتخصيص أنشطة تتم في المدارس والجامعات، إضافة إلى توظيف الوسائط التقنية الحديثة والوسائل التكنولوجية الاجتماعية، والمزيد من الاهتمام بالجيل الشاب وطاقاته ومواهبه، والابتعاد عن "الشللية والشخصانية" في البنية الثقافية والفنية، والاقتراب أكثر من التعاون بين الجهات المختصة، والاقتراب أكثر من المنتوج الإبداعي لتحقيق الغاية الأعلى: "النص لا الشخص"، و"الإبداع لا التبعية والاتّباع".

الألم الصائت والأمل الصامت

عن هذا المشهد وتداعياته وتأثيراته المختلفة وطموحاته، تساءلت "البعث الأسبوعية": ما ترائياتك للمشهد الثقافي الفني في حلب في مرحلة إعادة الإعمار وما بعدها؟ ما توقعاتك؟ واقتراحاتك؟

وهنا، ظهر الجانب المظلم من بعض الإجابات عاكساً السلبية المتراكمة في نفوس الأدباء نتيجة الضغط الحياتي اليومي الذي جعل البعض يعتذر مجيباً: "معتزل عن المشهد منذ بدأت الحرب"، أو يخبرنا بأن لديه حالة مرضية عائلية، أو يلمح إلى أن الواقع يحتاج إلى مزيد من التأقلم لكي نستعيد ما مضى ونفكر بما سيأتي.

ولاشك أننا نستكشف، من خلال بعض الإجابات الغائبة، أو "الإجابات بلا إجابات"، ما آلت إليه الديناميكية الثقافية، وكيف تحولت إلى حالة نفسية يشوبها الحزن المعبّر عن الألم الصائت والأمل الصامت. ولكنِّ، وضمن هذه التموجات والأمواج، لا بد وأن ينبثق الازدهار في المستقبل، وهذا ما نلمحه في إجابات البعض.

العمل الحضاري

"حلب الحضارة، حلب التاريخ، تنفض غبار الإرهاب، وقد عاد الألق الثقافي الى عاصمة الثقافة في سورية". هكذا بدأ الأديب جابر الساجور، مدير الثقافة، ليسترسل: "المشهد الثقافي اليوم، يبدو متعثراً رغم الجهود الكبيرة التي تبذلها الوزارة للنهوض بالواقع الثقافي ورفع الذائقة الفنية لدى عموم الجمهور بما يتناسب مع التطور المدني الكبير الذي يشهده العالم".

وأردفَ: "إصرارنا على العمل إضافة للجهود المبذولة للحفاظ على الإرث الحضاري الكبير الذي تتميز به سورية، وتراثها المادي واللا مادي، يساعدنا على التغلب على أسباب التعثر العائدة إلى ظروف الحرب من تدمير ممنهج لكافة المقرات والمواقع الثقافية والتراثية". وأكد: "اليوم، تبذل جهود استثنائية لإعادة تفعيل العمل الثقافي بكافة مفاصله، فسورية مهد الحضارات وعرفت، عبر قرون طويلة، عدداً كبيراً من الأعلام والقامات الفكرية والفنية والأدبية". واختتم الساجور: دورنا اليوم أن نتعاون كمؤسسات وطنية إعلامية ثقافية وجمعيات المجتمع المحلي لتحقيق أفضل استثمار ثقافي، كما وجه سيد البلاد في لقائه الأخير مع الأدباء".

الإدارة الثقافية

بيانكا ماضية، الكاتبة الإعلامية، ورئيسة القسم الثقافي في صحيفة "الجماهير": "كانت إشاراتنا دائماً تتوجه نحو إمكانية النهوض بالواقع الثقافي والفني في مدينة حلب ليكون بمستوى هذه المدينة التاريخي والحضاري والثقافي، ولكن المشكلة تكمن في الإدارات ونوعية التفكير ونوعية الاهتمامات الثقافية، إذ مضى على التحرير أربعة أعوام، ولم تنهض حلب ثقافياً كما يجب أن يكون لها النهوضِ".

وتابعت: "الجهود التي تبذل في هذا الشأن قليلة نوعاً ما، إذ بالمقارنة بين ما كانت عليه المدينة قبل الحرب وبعدها يشي أن هناك نقاطَ ضعف يجب أن تتحول إلى نقاط قوة، وأولها ما يتعلق بالإدارة الثقافية بشكل عام. وما تم بذله وتقديمه مشكورة عليه جميع الجهات الثقافية، لكن حلب، مدينة الفن والأدب والصحافة والتاريخ العريق، بحاجة إلى جهود أكبر لتعلن عن نفسها حقيقة أنها عاصمة الثقافة السورية".

وعي وأنشطة وأعضاء جدد

وبإيجابية، قال د. أحمد زياد محبك، رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب: "خلال الحرب، لم يتوقف الأدباء عن العطاء، ولم تتوقف المؤسسات الثقافية عن إقامة أنشطتها، وكان الجمهور يتابع النشاط بشوق وإرادة. انتقلنا إلى مرحلة البناء والإعمار، واستمر النشاط بوتيرة أعلى، ونشاط أكبر وأوسع، فالاتحاد مفتوح للأدباء جميعاً من أعضاء وأصدقاء، وكان العطاء على مستوى جيد من الأداء الفكري والفني". وتابع: عندما اتخذت الإجراءات الوقائية لحماية الوطن من وباء كورونا، بقينا على تواصل مع الأدباء عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وقد توقف النشاط لنحو شهرين تقريباً، ثم عدنا وفق برنامج فرع حلب، وقد جرى استقبال عدد غير قليل من طلبات الانتساب إلى الاتحاد. وفي هذه المرحلة بالذات، تم قبول أعضاء جدد، هم رافد قوي لهذه المؤسسة الثقافية. ومن المعروف أن النشاط الثقافي لاتحاد الكتاب يتوقف في الصيف، ولكن التواصل مع الأدباء يبقى مستمراً، ويبقى الاتحاد يقوم بدوره الثقافي والأدبي، عبر دورياته".

نصنع جسوراً لأرواحنا ونراقص الطيور

الكاتبة سهى جودت، رئيسة مجلس إدارة جمعية أصدقاء اللغة العربية: "في ظل الأوضاع الراهنة، ومع جائحة كورونا التي أصابت العالم بالشلل الاقتصادي، يصعب التكهن بما ستؤول إليه الأمور في سورية التي حاربت على مدار ٩ سنوات ضد أعتى القوى الاستعمارية". وأكملت: "قبل الجائحة، كانت الحياة تنشط، كما أن المعامل عادت إلى العمل والإنتاج، والبعض عاد إلى بيته، والمحال التجارية استعادت شيئاً من عافيتها، ومنابرنا الثقافية لم تتوقف كل من موقعه يعمل بإرادة صلبة وقلبٍ من حديد، وكان من المتوقع أن يعود الإعمار سريعاً، لكن كل شيء شبه متوقف، وحتى نحن كجمعية ثقافية لها شعبيتها الواسعة، ولم تتوقف أثناء الحرب عن تنفيذ نشاطاتها الثقافية والاجتماعية الفلسفية التربوية، احتكمنا اليوم لمصير العالم وما تمليه علينا النصائح الطبية من تحذيرات واحتياطات يجب اتباعها".

وأضافت: لن نفقد الأمل، لأن من عاش في حلب أيام الحصار وعانى من انقطاع المياه والكهرباء، يعرف قدرة هذا الشعب على الصمود والتحدي، وكيف أثبت للعالم أجمع أنه يصنع من السحاب بساتين قطن". ورأت أن السؤال الصعب: "ما مقترحاتك؟"، وأكملت: "لكن، عن أي شيء سأطلق مقترحاً، ونحن ما زلنا في خضم الخوف والتخبط من كورونا؟ وفي خضم الغلاء المادي الفاحش نحترق ونتلظى من ارتفاع الأسعار بسبب القانون الظالم - "قانون قيصر" - ومحاصرتهِم لنا؟ هم، بكل تأكيد، لا يقاتلون حكومة، بل يقتلون شعباً، لذا سيكون مقترحي حين تنتهيِ أزمة كورونا أن نبني أنا وأنت مع ثلة من الطيبين جسوراً للمحبة كي نمضي عليها ونحن نراقص الطيور".

أزمة كورونا..

علامات تدهور الصحة العقلية لدى الأطفال



أثر الوباء عميقاً على الصحة البدنية والعقلية للناس في جميع أنحاء العالم. وقد ازدادت التقارير عن ارتفاع مستويات التوتر والقلق والاكتئاب وحتى التفكير في الانتحار. وبينما ركزت الكثير من الأبحاث على البالغين، لا بد من الإقرار بأن الصحة العقلية لدى الأطفال معرضة للخطر أيضاً.

فعلى غرار الآباء، يؤثر الوباء على الأطفال من نواح كثيرة، وفي بعض الأحيان كان أكثر وقعاً عليهم من ذويهم حتى، فقد تعرَّض روتينهم اليومي لتغيير جذري، ربما كان صعباً على الكثير منهم تقبُّل ظواهره الجديدة، فلا تجمعات للأطفال ولا حفلات أعياد ميلاد ولا حتى صفوف مدرسية كما عهدوها.

وحتى لو ادعى المراهقون أنهم لا يمانعون الجلوس في المنزل والانعزال عن الآخرين، إلا أن آثار كل هذه الخسائر ستطفو على السطح لاحقاً.

وإضافة إلى العمر، فإن التأثير يعتمد أيضاً على أنواع شخصياتهم؛ فالأطفال الأكثر انطوائية وخجلاً قد يستمتعون مؤقتاً بسبب قضاء مزيد من الوقت في المنزل والتعلم عبر الإنترنت، لكن سرعان ما يتسلل الملل.

أما الأطفال الذين يتمتعون بشخصية منفتحة، فقد خسروا القدرة على التواصل الاجتماعي مع أقرانهم والعمل ضمن فريق، وتبادل الطاقة الإيجابية مع الآخرين.

نستعرض في هذا التقرير.

الصحة العقلية لدى الأطفال

هناك ٤ علامات تدل على تدهور الصحة العقلية لدى الأطفال. وليس هناك تشخيص واحد يناسب الجميع، وإذا كان الآباء يعانون أيضاً من القلق أو الاكتئاب، فقد يؤدي ذلك إلى تعقيد التعرف على مشاعر الأطفال بشكل أكبر.

وبشكل عام، هناك بعض العلامات الشائعة على أن الأطفال لا يتأقلمون جيداً، وما يحتاج الآباء بالتأكيد معرفته هو كيفية مساعدة أطفالهم خلال هذه الأوقات الصعبة.

- عادات النوم المتغيرة أو السيئة: انتبه إلى طريقة نوم أطفالك. لاحظ ما إذا كانوا لا ينامون طوال الليل بأكمله أو يواجهون صعوبة في النوم.

- الشكاوى الجسدية: قد يشتكي الأطفال الذين يعانون من مشاكل في الصحة العقلية من أعراض جسدية مثل آلام الرأس أو المعدة.

- التغييرات في النظام الغذائي: يعد فقدان الشهية فجأة أو أي تغيرات أخرى مع أنماط الأكل الخاصة، من مؤشرات معاناتهم النفسية.

- التقلبات المزاجية: إذا بدأ الأطفال في اختبار نوبات انفعالات سلوكية أو عاطفية، أو شعروا بالضيق والإحباط بسهولة، أو كانوا ينهارون سريعاً بسبب المواقف البسيطة، فلا ينبغي إلقاء اللوم على العمر أو الهرمونات أو الجنس فقط؛ الأمر أكثر تعقيداً.

مساعدة الأولاد

يجب ألا تكون خبيراً نفسياً كي تتمكن من مساعدة أولادك. فإذا أظهر الأطفال أي علامات تدل على أنهم يعانون من مشاكل نفسية، يمكن التدرج في هذه المحاولات:

- الحوار: وإجراء محادثات صريحة وصادقة مع الأطفال؛ لمحاولة الكشف عما يزعجهم، سواء كان ذلك في المدرسة أو المنزل أو الأصدقاء، وما إلى ذلك. تذكّر أن تظل هادئاً واسأل كيف يمكنك المساعدة.

المدرسة: اسأل عما إذا كان لدى مَدرسة الأطفال مستشار مدرسي أو أخصائي نفسي؛ للمساعدة في تعليم الأطفال استراتيجيات التكيف.

- مساعدة متخصصة: إذا استمرت المشاكل التي يواجهها الأطفال لأكثر من أسبوعين، فاطلب المساعدة المتخصصة؛ حتى يتمكن الأطفال من تعلم الاستراتيجيات ومهارات التأقلم التي يمكن أن تفيد صحتهم العقلية الآن وفيما بعد.

دراسات وإحصائيات

في هذا السياق، كشفت دراسة أمريكية جديدة نُشرت في دورية طب الأطفال **Pediatrics Show**، وشملت ١٠١١ من الآباء، في أوائل حزيران ٢٠٢٠، أن:

٢٧ ٪ قالوا إن صحتهم العقلية قد ساءت منذ آذار.

١٤ ٪ قالوا إن سلوك أطفالهم أصبح أسوأ.

وأبلغ ما يقرب من ١٨٪ من الآباء عن تدهور صحتهم البدنية.

وقال ٤٪ إن صحة أطفالهم تدهورت أيضاً.

وتبيّن أن هذه المشاكل ظهرت أكثر لدى العائلات التي كان عمر أطفالها أصغر نسبياً، بسبب توقف دور الرعاية عن العمل وتراجع مدخول الأسرة والخوف من عدم القدرة على تأمين الغذاء اللازم.

وفي تعليق على الدراسة، قال الطبيبان رايان كولير وسارة ويبر، من جامعة ويسكونسن ماديسون إن «العواقب الفريدة التي فرضتها جائحة كورونا على الأطفال قد يتم تجاهلها، والتقارير الأخيرة عن زيادة العنف الأسري تنذر بالسوء».

أمراض الشتاء..

التهاب المعدة وطرق علاجه في المنزل



يعد التهاب المعدة أحد الأمراض الهضمية التي تصيب الإنسان نتيجة عدوى بكتيرية تُسبب انخفاض مناعة الجسم، وتجعل جهاز المناعة يُهاجِم عن طريق الخطأ الخلايا التي تبطّن المعدة.

التهاب المعدة

عادة ما يتم علاج المرض في غضون أيام قليلة، لكن الإصابة به تكثر خلال فصل الشتاء، نتيجة سرعة انتقال الجراثيم والفيروسات والبكتيريا بين الناس.

إليكم كل ما ترغبون في معرفته عن أعراض وأسباب التهاب المعدة، إضافة إلى بعض العلاجات المنزلية التي تساعد في علاج المرض.

أسباب التهاب المعدة

هناك العديد من العوامل التي يمكن أن تسبب مرض التهاب المعدة، أهمها الإصابة بجرثومة تدعى هيليكوباكتر بيلوري (الملوية البوابية)، وأيضاً أسباب أقل شيوعاً مثل استهلاك الكحول المفرط والسجائر أو استخدام مسكنات الألم لفترة طويلة أو نتيجة للضغط العصبي.

بالنسبة لجرثومة هيليكوباكتر بيلوري فهي تستوطن الغشاء المخاطي في معدة أكثر من نصف سكان العالم، وقد تتسبب إضافة إلى التهاب المعدة في مضاعفات مثل القرحة، وظهور أورام في المعدة.

ورغم ذلك فإن أكثر من ٨٠٪ من المصابين لا يشعرون بأي أعراض.

أعراض التهاب المعدة

وعلى الرغم من أن التهاب المعدة مزعج فإنه لا يُنظر إليه عادةً على أنه حالة خطيرة، وتشكل أعراضه ما يلي: غثيان/ تقيؤ/ تشنجات بطنية/ إسهال/ حرقة في المعدة/ شعور بالشبع بعد تناول كمية صغيرة فقط من الطعام.

علاج التهاب المعدة

في الوقت الذي تكون فيه هناك حالات تستدعي علاجاً طبياً عاجلاً، فإن الكثير من الناس بإمكانهم علاج المرض من المنزل دون الحاجة إلى الذهاب إلى الطبيب إلا في حال تأزم الأعراض.

وهناك بعض العلاجات المنزلية التي يمكن تجربتها للحصول على نتيجة فعالة وسريعة، وفي حال الشعور بآلام حادة غير محتملة فلا بد من الذهاب إلى أقرب مستشفى.

- الابتعاد عن الأطعمة التي تسبب الالتهابات

يشير التهاب المعدة إلى التهاب بطانة المعدة، لذا فإن تناول نظام غذائي يساعد على تقليل الالتهاب، وسيوفر الراحة لك مع مرور الوقت.

ومع ذلك، لم تظهر الأبحاث بشكل قاطع أن تناول نظام غذائي معين يسبب أو يمنع التهاب المعدة.

وتلك قائمة بالأطعمة التي ينبغي تجنبها، كونها تُسهم بشكل كبير في زيادة الالتهاب.

الأطعمة السريعة

الفواكه الحمضية مثل العنب والرمان والتوت والبرتقال والأناناس.

منتجات الألبان

الأطعمة السكرية

الأطعمة الحارة

الكحول

- تناول الثوم

وتشير بعض الأبحاث إلى أن الثوم يمكن أن يساعد في تقليل أعراض التهاب المعدة. وإذا كان الشخص لا يحب طعم الثوم النيء، فيمكنه محاولة تقطيع الثوم وتناوله مع السلطة مثلاً.

- لبن البروبيوتيك

يمكن أن تساعد علب لبن البروبيوتيك في تحسين الهضم وتشجيع حركات الأمعاء المنتظمة، وأيضاً إدخال البكتيريا الجيدة إلى الجهاز الهضمي.

ولبن البروبيوتيك ليس متوافراً في الأماكن صراحة، لذلك بإمكانكم تناول الأطعمة التي تحتوي على البروبيوتيك مثل: الزبادي، ومخلل الملفوف.

- الشاي الأخضر

أظهرت بعض الدراسات أن شرب الشاي الأخضر أو الأسود، مرة واحدة على الأقل في الأسبوع، يمكن أن يقلل بشكل كبير من انتشار جرثومة هيليكوباكتر بيلوري في الجهاز الهضمي.

وهذه الجرثومة كما قلنا هي السبب الأول وراء إصابتنا بالتهاب المعدة.

- تناول وجبات خفيفة

ويمكن أن يؤدي تناول وجبات كبيرة غنية بالكربوهيدرات إلى إجهاد الجهاز الهضمي للشخص وتفاقم التهاب المعدة. وبينما يمكن أن يساعد تناول وجبات صغيرة بانتظام على مدار اليوم في تسهيل عملية الهضم وتقليل أعراض التهاب المعدة.

- تجنب التدخين والإفراط في استخدام المسكنات

يمكن أن يتسبب التدخين في تلف بطانة معدة الشخص، ويزيد أيضاً من خطر إصابة الشخص بسرطان المعدة، في حين يمكن أن يؤدي تناول الكثير من مسكنات الألم التي لا تستلزم وصفة طبية، مثل الأسبرين أو الإيبوبروفين، إلى إتلاف بطانة المعدة وزيادة سوء التهاب المعدة.

- تقليل التوتر

يمكن أن يسبب الإجهاد أو العصبية الزائدة في تهيج التهاب المعدة، لذا فإن تقليل مستويات التوتر هو وسيلة مهمة للمساعدة في التخلص من المرض.

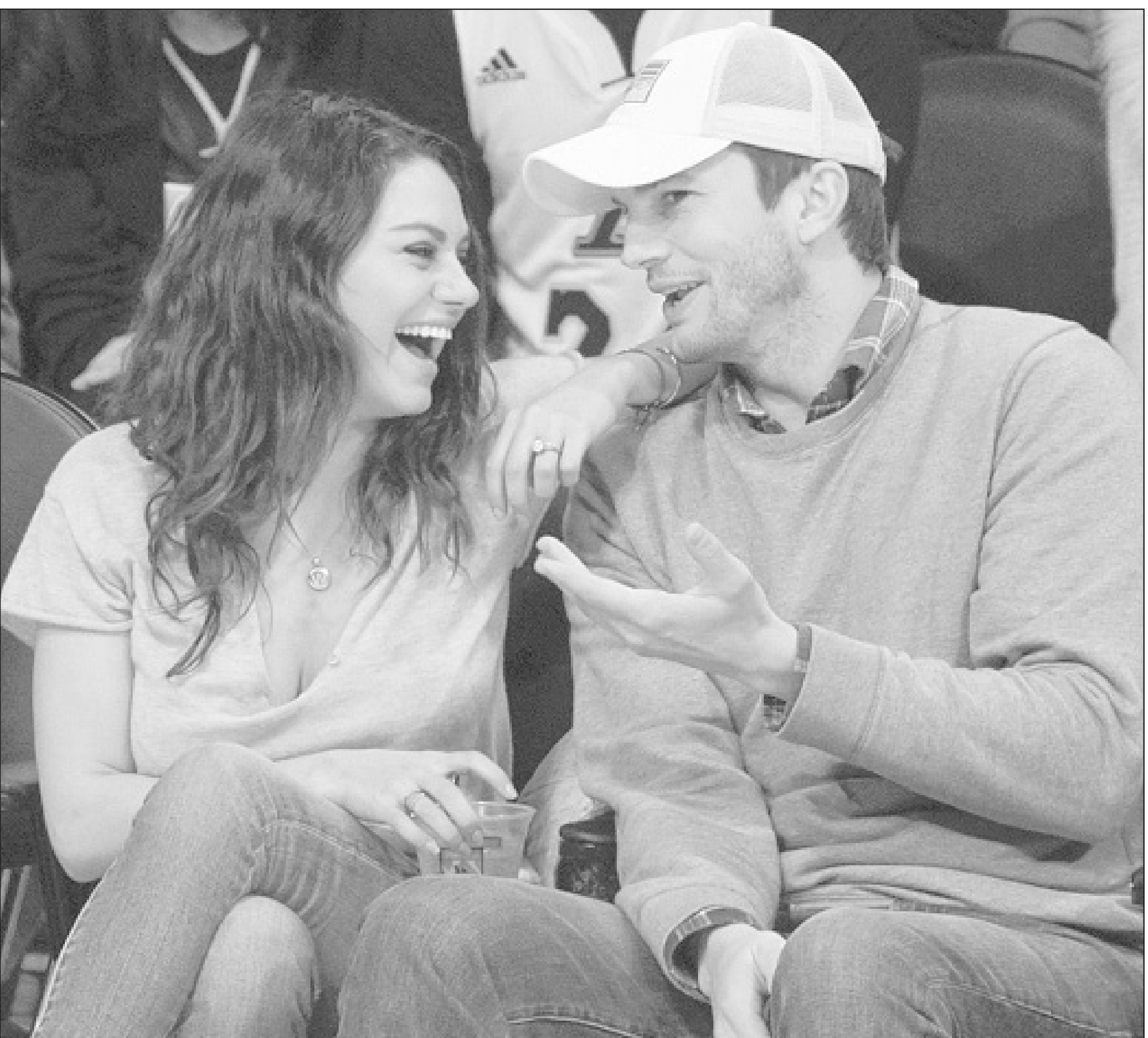
ويمكنك التخلص من التوتر عن طريق تدليك جسمك أو ممارسة اليوغا أو ممارسة التأمل أو عن طريق التمارين التنفسية.

كيمياء الحب.. الأجمل أنك لست مضطراً للسؤال !!

سمعنا جميعاً عن الأشخاص الذين يذهبون إلى موعد الحب الأول، وبعد ذلك يقولون إنه لم يكن هناك أي انجذاب بينهما، أو يتفاجأ بعض الأشخاص بفشل علاقتهم بشريك ما بعد اكتشافهم عدم وجود انجذاب فعلي بينهما رغم أنهما مناسبان جداً لبعضهما، هذا هو بالضبط ما يسمى كيمياء الحب.

فالكيمياء هي شعور بالجاذبية يخلق الرغبة في مشاركة حياتك مع شخص ما على المستويات الجسدية والعاطفية والنفسية.

لذلك عندما تبحث عن شريك مناسب ترتبط به بقية عمرك ابحث عن الكيمياء وليس سيرته الذاتية، فكونه يفضل نفس أطعمتك ويمارس نفس نشاطاتك ويحب أن يمشي تحت المطر مثلك تماماً، لن يكون مفيداً إذا انعدمت الكيمياء بينكما.



كيف تحدث كيمياء الحب؟

بحسب التعريف العلمي فإن كيمياء الحب هو تأثير فسيولوجي يتشكل من عدّة عناصر كيميائية في الجسم إذا كانت في ترتيب معين في الوقت والمكان المناسبين فينتج عنها تناغم وانجذاب بين الأشخاص وهو ما يسمى أيضاً «الحب الحقيقي».

لذلك فإن نجاح العلاقات الرومانسية يحتاج لحدوث عدة عمليات كيميائية عصبية ترتبط أحياناً بالمحفزات الخارجية.

وتأتي الكيمياء من الفيرومونات وهي مواد كيميائية غير مرئية يمكن مشاركتها بين الناس وجعلها متزامنة بشكل أساسي، فعندما يشعر شخصان بالكيمياء غالباً ما يشعران بسرور قلبهما، وقد ترتفع درجة حرارة الجسم وقد يشعران بالتوتر في وجود الشخص الآخر.

وتشكل الرائحة جزءاً من المعادلة التي يجب أن تتوافق مع معايير الجاذبية لحدوث كيمياء الحب بحسب أستاذ علم النفس في جامعة بوفالو الأمريكية مارك كريستال، إذ تتسبب الرائحة بدخول «الفيرمونات» التي لا تزال بعض الشيء غامضة بالنسبة للبشر.

وبمجرد دخول الفيرمونات إلى الدماغ عن طريق حاسة الشم تعطيه إشارات للشعور بالعديد من الحالات مثل "الحب، الخوف، القلق، الراحة، أو إنذار من شيء ما"، وما إلى ذلك.

إضافة إلى الفيرمونات فإن للدماغ أيضاً مواده الخاصة التي تشارك في إنشاء الترابط، إذ يقوم بمجرد حدوث إنجذاب تجاه شخص ما بإفراد هرموني الدوبامين والأدرينالين وهي ما معروف بأنه هرمونات تحسن المزاج وتعطي السعادة.

وبمجرد أن يتم إفراز هذين الهرمونين فإن إفراز هرمون السيروتنين ينخفض تلقائياً فيبدأ الإنجـذاب المفرط بالطرف الآخر.

علامات

أفضل شيء في الموضوع أنك لست مضطراً إلى أن تسأل نفسك إذا ماكان هناك كيمياء بينك وبين الشخص الذي تريد مواعدته لأنه وبكل بساطة ستشعر بذلك في لقائه لأول مرّة.

فبمجرد أن ترى نفسك منغمساً جداً بحديثه أو لا تلاحظ مرور الوقت وأنت معه، او تبدأ بالتفكير به بمجرد أن تودعه فهناك حتماً كيمياء مشتركة بينكما.

إليكم بعض العلامات الأخرى التي قد تنبهكم إلى وجود كيمياء بينكم وبين شريككم المستقبلي سعيد الحظ، وفق ما ذكره موقع The List.

رابط قوي من أول دقيقة

أستاذ العلاقات في جامعة تكساس الأمريكية يقول إنّ الشخص يحتاج لأول ٣٠ ثانية فقط لمعرفة ما إذا كان هناك كيمياء حب أم لا، فإذا شعر الشخص خلال هذه المدة القصيرة بوجود رابط قوي يجمعه مع الشخص الذي يقف أمامه فذلك يعني وجود هذه المادة بينهما.

ولكنه في الوقت ذاته يحذّر من أن يجعل الانطباعات الأولى الشخص متأكداً من أن عليه الدخول إلى تلك العلاقات، فرغم وجود كيمياء مشتركة قد يكون بكل بساطة هذا الشخص غير مناسب له.

يجعلك مرتاحاً وتحب الضحك

بكل تأكيد فإن الشعور بالراحة هو أساس كل العلاقات الرومانسية الناجحة، فما بالك لو أنها تجعلك تحب الضحك أيضاً؟

تسمح الكيمياء عادة للشخصين بالشعور بالسعادة لدرجة أنهما يضحكان بكثير من الأوقات، كما انهما يهتمون ببعضهما البعض ويتخذون قراراتهم على أساس أن تناسب الشخص الآخر.

التعلق الحقيقي والرغبة بالارتباط

قد تكون هذه العلامة هي آخر علامات وجود كيمياء الحب بينك وبين شريكك. فبعد مرور فترة على علاقتك بشريكك ستتأكد تماماً من كيمياء الحب بينكما تعمل بشكل جيد عن طريق رغبتك بالارتباط بهذا الشخص. وينشأ هذا القرار نتيجة نشاط مواد كيميائية في جزءٍ من الدماغ يسمى القشرة الحديثة والذي يعد مسؤولاً عن اتخاذ القرارات العقلانية.

مشاهير

كما نعلم فإن عالم التمثيل مليء بالأزواج الوهميين الذين نشاهدهم في الأفلام، ولكن تلك العلاقات التي يكون الغرض منها إنجاح الفيلم تتحول أحياناً إلى علاقات حقيقية مثلما حدث مع الكثير من الممثلين الذين شعروا بكيمياء الحب أما شركاهم بالتمثيل.

إليكم بعض الأمثلة وفق موقع Woman ly live.

أنجلينا جولي وبراد بيت

على الرغم من أن علاقتهما ليست مستمرة الآن إلا أنّ براد بيت وأنجيلينا جولي شعرا بكيمياء الحب لأول وهلة خلال لقائهما الأول أثناء تمثيل فيلم Mr. & Mrs. Smith، فدخلا بعلاقة رومانسية رغم أنّ براد بيت كان حينها لا يزال متزوجاً من الممثلة جينيفر أنيستون، وبعد فترة قصيرة تزوجا وأنجبا العديد من الأطفال.

ناتالي بورتمان وبنجامين ميلييبد

التقت الممثلة الحائزة على جائزة الأوسكار، ناتالي بورتمان، بزوجها مصمم الرقصات بنجامين ميلييبد أثناء تلقيها دورات في تعلم الرقص. وتقول الإشاعات إنّ ميلييبد وبرتمان شعرا بكيمياء الحب من أول رقصة بينهما مما دفع مصمم الرقصات إلى ترك حبيبته السابقة راقصة الباليه إيزابيلا بويلستون من أجل الزواج من ناتالي بورتمان. والثنائي الجميل لايزالان متزوجان إلى الآن ولديهما طفلان هما أليف وأماليا.

تشانينج تاتوم وجينا ديوان

وقع ملكا الرقص كما يتم تسميتهما الممثل الأمريكي تشانينج تاتوم والممثلة الأمريكية جينا ديوان في الحب عندما التقيا لأول مرة أثناء تصوير فيلم Up في العام ٢٠٠٦. وبعدها بـ ٣ سنوات قررا الزواج، وأنجبا طفلتهما الأولى في العام ٢٠١٢.

ريان رينولدز وبليك ليفلي

التقى الممثلان بليك ليفلي وريان رينولدز في فيلم The Green Lantern، في العام ٢٠١٠، عندما كان رينولدز لا يزال متزوجاً من الممثلة سكارليت جوهانسون، بينما كانت ليفلي متزوجة الممثل الأمريكي بين بادغلي. وقد شهد الفيلم حينها الكثير من المشاهد الحميمية بين الممثلين لكنهما أكدا لاحقاً أنهما مجرد أصدقاء. وفي تلك الفترة شعر الصديقان بكيمياء الحب وهو ماد فعهما للانفصال عن شركائهما والزواج في العام ٢٠١٢، ولا يزالان متزوجين حتى الآن ولديهما ٣ أطفال.

ميلا كونيس وأشتون كوتشر

كان أول لقاء يجمع الممثل الشهير أشتون كوتشر بالممثلة الأمريكية ذات الأصول الأوكرانية ميلا كونيس في العام ١٩٩٨ خلال تصوير That '٧٠s Show. كانت كونيس حينها بعمر الـ ١٤ فقط بينما كان أشتون يبلغ الـ ١٩. ورغم أنهما لم يتزوجا في ذلك الوقت لأن كونيس كانت قاصر، لكن كيمياء الحب بينهما لم تمت من ذلك الحين إذ تزوجا في العام ٢٠١٥ ولديهما الآن طفلان.

كلمات متقاطعة

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
			■								1
					■		■				2
		■				■					3
									■		4
■								■			5
			■			■					6
		■				■					7
				■					■		8
			■					■			9
	■						■				10
■										■	11

أفقي:

١- عبقري وعالم رياضيات بريطاني قدم للبشرية الحبر المنطقي المستخدم في الحواسيب- أهرب /م/

٢- قفز- نبات (القرع)

٣- طنان- ثلثا (عباد)- قلب أو عقل

٤- دولة في أقيانوريا عاصمتها (ويلينغتون)

٥- جميع- مطرب لبناني اشتهر في ثمانينات القرن الماضي

٦- أحرف متشابهة-هيئة لباس- ذرية

٧- بكاء شديد- تجدها في (حياة) علامة موسيقية

٨- ماركة سيارات أميركية- يعاتب

٩- حب- علم مؤنث- يغطي جسم بعض الحيوانات

١٠- مرض يصيب العين- حيوان منقرض من فصيلة الفيلة

١١- مطرب مصري

عمودي:

١- فيلسوف وعالم رياضيات ألماني يعتبر أعظم رياضي في التاريخ وهو واضع نظرية نظرية المجموعة الحديثة

٢- تمثال أو صنم- ظهر من بعيد- ماء العين

٣- قائد السفينة- ساند ودعم- أرشد

٤- مدينة إيرانية

٥- مناص- ثلثا (ومض)- مجلس النواب الروسي

٦- مطربة مغربية معتزلة

٧- دولة أفريقية عاصمتها (مونروفيا) ابو الزوج أو الزوجة /م/

٨- من أصحاب المهن الحرة /م/- عائش- فضاء /م/

٩- ثلثا (رطل)- أحرف متشابهة- (أتلف) مبعثرة

١٠- ممثلة سورية

١١- أخبر- من الحمضيات

الحل السابق

أفقي:

١- السيموغراف

٢- فادي إبراهيم

٣- آلي- تابوت

٤- مشمش- مومياء /م/

٥- (ب ب)- ند

٦- أوهايو- بد

٧- الكوبرا- سل /م/

٨- شبع- يرهبك

٩- مل- بحر قزوين

١٠- أن- أبد

١١- لبلاب- النهر

عمودي:

١- أفاميا- شمال

٢- شلال /م/- وابل

٣- سديم - هلع- ال

٤- (ي ي)- شباك- بنى

٥- مات- (ب ي و ر ح)

٦- وباء- بو /م/- رد

٧- غربان- ريق

٨- راوي- بارز

٩- أهتم- هوان

١٠- في- ون- لبيبة

١١- محمد اسكندر

الكلمة المفقودة

أنقل حبي لك من عام إلى عام
كما ينقل التلميذ قروضه المدرسية
إلى دفتر جديد
أنقل صوتك ورسائلك
ورقم هاتفك وصندوق بريدك
وأعلقها في خزانة العام الجديد
وأمنحك تذكرة إقامة

ى	ل	إ	و	ر	ت	ف	د	ل	ق	ن	ي
ع	أ	ت	ر	إ	د	ى	ل	إ	ا	ص	ع
ا	ن	ذ	س	ق	ي	خ	و	ا	ل	و	ا
م	ق	ك	ا	ا	د	ز	أ	هـ	م	ت	م
ا	ل	ر	ء	م	ج	ا	م	ق	د	ك	ك
ط	خ	ة	ل	ة	ل	ن	ن	ل	ر	ل	م
و	ا	ا	ك	ك	ا	ة	ح	ع	س	ح	ا
ر	ل	ف	ب	ف	أ	ل	ك	أ	ي	ب	أ
ق	ع	ر	ر	ت	ن	م	ح	و	ة	ي	ن
م	ا	و	ي	ا	ق	و	د	ن	ص	و	ق
ل	م	ض	د	هـ	ي	ف	د	ي	د	ج	ل
ك	ر	هـ	ك	ذ	ي	م	ل	ت	ل	ا	م

المفقودة مؤلفة من عشرة أحرف مسلسل سوري

الحل السابق: المتنبي

الأبــراج

الحمل: تواجهك ظروف طارئة تؤخر بعض الأعمال والخطوات الهامة أحذر حصول أخطاء كبيرة قد تكلفك الكثير ولا توكل المهمات للآخرين.

عاطفياً: كن أكثر مرونة في التعاطي مع المستجدات وحاول تلطيف الأجواء خلال هذه الفترة فأنت على موعد مع مفاجأت سارة.

الثور: تطالعك الأفلاك بأيام من النجاح والمكاسب وقد تصادفك فرصاً هامة تدفعك إلى مزيد من العطاء والمثابرة

عاطفياً: لا تتسرع بحسم قرارك حيال علاقة جديدة واختبر الطرف الآخر فهناك أمور لازالت غير واضحة

الجوزاء: تبدو مهتماً بقضايا مالية وإدارية هذه الفترة ومن الأفضل أن تستفيد من تجارب الآخرين من خلال الإصغاء إلى كل الآراء قبل اتخاذ القرار.

عاطفياً: الوقت مناسب للتقارب والتعرف أكثر إلى الطرف الآخر فكن واثقاً من نفسك ولا تتردد.

السرطان: لا تركن إلى نجاحات وإنجازات سابقة واعمل لتحقيق الأفضل دائماً خاصة وأنك قد تواجه ظروف تتطلب منك الاستعداد المادي الكافي

عاطفياً: تقارب في وجهات النظر مع الحبيب واتفاق على خطوات مشتركة خلال الشهر القادم

الأسد: ترافقك أجواء مفيدة وتعرف أكثر الفرص أهمية وعليك أن تحدد الأولويات والتوجهات قبل نهاية الشهر إذا أردت إحداث تغييرات جذرية في أوضاعك المهنية والمالية

عاطفياً: كن على قدر المسؤولية تجاه من تحب ولا تدع الغيرة المفرطة تقودك إلى مالا تريد.

العذراء: تنحسر موجة القلق وتعرف الانفراج في الأيام القليلة القادمة وعليك أن تعيد قراءة حساباتك على صعيد المال والعمل مستفيداً من أخطائك السابق.

عاطفياً: إذا كنت عازباً فالأجواء مناسبة كي تتعرف إلى وجوه جديدة وقد تلتقي بشخص يلفت انتباهك.

الميزان: استشر أهل الخبرة والاختصاص قبل التوقيع على أي معاملة أو عقد ولا تدع الحماسة توقعك في أخطاء غير محسوبة

عاطفياً: تلقى الدعم والاهتمام من الشريك وتميل إلى الرومانسية والهدوء وتعدك الأجواء بتحقيق ما تصبو إليه.

العقرب: المواقع الفلكية داعمة لك لاسيما خلال الأسابيع القادمة وإذا قررت خوض مشروع جديد فالنجاح سيحالفك وأحوالك ستعرف تغييرات جذرية.

عاطفياً: تعرف علاقتك العاطفية تطورات لافتة وتتلقى خلال هذا مفاجأة حلوة يحضرها لك الحبيب.

القوس: تتمتع بوضع فلكي يسمح لك بكسر الجمود وتحقيق قفزة نوعية على الصعيدين المهني والمادي فكن واثقاً من نفسك واعمل على توسيع دائرة النشاط والمعارف.

عاطفياً: تسير أمورك بشكل جيد وقد تتخذ قراراً سيكون تأثيره إيجابياً على حياتك في المستقبل القريب.

الجدي: تجد حلولاً لمشاكل يومية طارئة في ميدان عملك وتقدم بإنجاز لافت خلال الشهر القادم مبلغ مالي في طريقه إليك.

عاطفياً: إنه الوقت المناسب لكي تعرض أفكارك وتثبت وجهة نظرك للحبيب، أحداث جميلة تخبئها لك الأيام القادمة.

الدلو: قد تضطر إلى خيار حاسم بشأن مسألة طارئة وربما تلاقي بعض الاعتراضات من المحيطين لكن الأيام القادمة سوف تثبت صوابية قرارك

عاطفياً: تحمل لك الأيام القادمة الأفراح والإنسجام وقد تعرف لقاءات غير متوقعة وتقوم بمبادرات مهمة.

الحوت: إذا كنت ترغب في توظيفات مهمة فعليك القيام بمبادرات مدروسة اتبع حدسك ولا تدع أحدهم يؤثر على خياراتك سلباً.

عاطفياً: عبر عن مشاعرك بصراحة ولا تخفي عواطفك الحقيقية وإلا فسر الحبيب الأمر بطريقة سلبية.

البعث
الأسبوعية

بازلت حوران.. قصة الحجارة السوداء والعمارة الجميلة



«البعث الأسبوعية» ـ أحمد العمار

ليس المقصود بحوران محافظة درعا، كما قد يعتقد البعض، بل هي، كما يعرفها ياقوت الحموي في مؤلفه الشهير «معجم البلدان» تلك المنطقة الممتدة من أطلال دمشق شمالاً، حتى عجلون في الأردن جنوباً، ومن شرق فلسطين غرباً، حتى الحماد شرقاً، وتمتاز بكثير من القواسم المشتركة، بيد أن أكثرها أهمية التربة البركانية وصخر البازلت الاندفاعي المعروف بلونه الأسود اللون، أو الرمادي الداكن، أو الأخضر الداكن، أو البني، لذا فإن من بين المعاني الكثيرة لكلمة حوران «البلاد السوداء»!

البازلت صخر ناري طفحي، عُرف باليونانية، وأخذ من إقليم باسان (أو «باشان» في بلاد الشام «حوران اليوم وتضم السهل والجبل والجولان»)، المكون من هضاب وجبال من الصخور النارية المنصهرة الصاعدة من أعماق تتراوح بين ١٠ - ١٠٠ كم تحت سطح الأرض، على هيئة حمم ذائبة تتجمد عند سطح الأرض عندما يبردها الهواء، مكوّنةً براكين مخروطية شكلت هضبة حوران البركانية.

بالرغم من قساوة البازلت، إلا أن سكان المنطقة برعوا في نحت هذه الحجارة وتشكيلها، على نحو فريد وجميل، بدليل تلك البيوت المبنية من حجارة منحوتة بشكل مستو ومتجانس، كما لو أنها صنعت بآلات القص والمخارط التي نعرفها اليوم؛ والشيء ذاته بالنسبة لتلك الأعمدة الأسطوانية، التي تحافظ على دقتها واستدارتها، مهما ارتفعت، فضلاً عن تزيينها بالتيجان التي تمثل أشكالاً هندسية وورودا وأزهاراً على نحو بديع.

أكثر ما يلفت الانتباه في البيت البازلتي جمالية القناطر والأقواس المحسوبة بطريقة هندسية دقيقة، ولهذه الأخيرة وظيفة مهمة، فهي تحمل الجسور الحجرية العرضانية، التي سيرتكز عليها السقف على طريقة «حامل ومحمول»؛ وتصل سماكة السقف إلى المتر في بعض الأحيان، لأن الحجارة ترصف فوق الجسور والقناطر، ثم يفرش التراب بسماكة لا تقل عن ٤٠ سم، وكان يرص بشكل قوي، حيث يدحل بمداحل حجرية صُممت لهذا الغرض، بداية كل شتاء، لمنع تسرب مياه الأمطار، ثم تتحول الأسطح في الربيع إلى مرج يشبه، إلى حد بعيد، أرض الملاعب الرياضية، كما كنا في طفولتنا نقطف البابونج منها!

لم يتوقف بناء البازلت عند المباني السكنية، بل امتد ليشمل المؤسسات الحكومية والمدارس والمساجد، ومحطة قطار الخط الحديدي الحجازي، أقدم خطوط الحديد التي عرفتها المنطقة، وحمته صلابته من عوامل البيئة وتقلبات الطقس، فالمباني ومكاتب المحطة، وغيرها، ما زالت تحافظ على شكلها وجمالياتها.

وتفوق تكاليف بناء بيت من البازلت نظيره من الخرسانة بثلاثة أضعاف، لذا فإن هذا النوع من البناء بات يعرف ببناء الميسورين. وبالرغم من ذلك، فإن عمارة جديدة أعادت، خلال العقود الأخيرة، ضخ الحياة في شريان الحجر البازلتي، عبر أبنية تعتمد عليه اعتماداً كاملاً، أو تطعّمه بنظيره الأبيض لتزيد جمالية وجاذبية البناء.

وقبل حوالى ثلاثة عقود، بنى الأستاذ الدكتور رئيف مهنا، ابن بلدة بصير، قصراً كاملاً من البازلت تحدى نظراءه المهندسين من خلاله بأنه لن يستخدم فيه أي حديد تسليح. وفعلاً نجح في التحدي، ونقل تجربته، فيما بعد، إلى مدارس وزارة التربية، وإلى فلل بنتها مؤسسة الإسكان العسكرية، كما زاد الاعتماد على البازلت الذي يقص على شكل ألواح رخام للنوافذ والأدراج والمطابخ والمطاعم وغيرها، بل حلّ عمليا محل الرخام التركي الأبيض الذي كان قبل الأحداث منتشراً على نحو واسع.

إنها - باختصار - قصة الإنسان، في جنوب سورية، مع البازلت الضاربة جذوره في أعماق تاريخ المنطقة ووجدان أهلها. قصة يشكل مدرج بصرى الشام وقلعتها والمساجد العمرية وكنيسة إزرع ودير الراهب بحيرا بعض فصولها!

نقوش

حكاية قط

محمد كنايسي

أخيرا جاءت الفرصة التي انتظرها طويلا، فقد خرج أفراد الأسرة كلهم، وأغلقوا باب الشقة الأرضية الفاخرة كالعادة، إلا أنهم نسوا هذه المرة إغلاق الباب الذي يؤدي إلى حديقتها، مما مكنه من الدخول إلى هذه الأخيرة، ثم تسلق سورها، وبقفزة واحدة وجد نفسه في الشارع.

كان قطا محظوظا أراد له القدر أن يعيش في هذا الحي الراقي بين أفراد أسرة غنية أحبته ودللته كما يدلل الأطفال الصغار، فكان يحصل على أفضل الوجبات المعلبة، وعلى أغلى أنواع الصابون والشامبو لحمامه اليومي، كما كان يتمتع بنزهة أسبوعية يخرج إليها محمولا في قفص ليكتشف العالم الخارجي بعض الوقت، ثم يعود إلى الشقة حيث يستلقي على السجادة العجمية كأمير سعيد، رغم أن هذه النزهات لم تكن في الحقيقة تشبع فضوله، وكان في أعماقه يحلم بالتحرر ذات يوم من القفص والتجول حرا في الخارج.

لذلك عندما جاءت الفرصة لم يتردد، رغم شعوره ببعض الخوف، في اقتناصها، فقد كان فضوله أقوى بكثير من شعوره بخطر المغامرة. وهكذا وجد القط السمين نفسه وجها لوجه مع العالم الذي طالما أراد أن يلمسه ويشمه ويعرفه بشكل مباشر وليس من خلال قفص.

مشى على الرصيف ملتصقا بالجدران ليتفادى الاصطدام بالمشاة، وبدا للوهلة الأولى وكأنه فقد القدرة على المشي فقد كان يتعثر حينا ويتوقف فجأة كلما مرت سيارة مسرعة، أو سمع صوت زمور قوي، ثم يعود إلى المشي ببطء محاذرا الاقتراب من الشارع حيث السيارات المخيفة.

وما أن وصل إلى إحدى الحدائق حتى تنفس الصعداء، ففي عالم العشب والشجر والعصافير وبرك الماء والإوز والكراسي الخشبية شعر بالأنس، وشيئا فشيئا تخلص من آثار الخوف، وعاد للمشي على الرصيف وهو أكثر شعورا بالثقة والأمان.

اجتذبه عالم من الروائح المختلفة التي كانت تنبعث من المحلات الفخمة ولم ينتبه وهو يمشي مستنشقا هواء الحرية أنه أخذ يبتعد كثيرا عن حيه، وأنه في غمرة اكتشافه المباشر للعالم الخارجي قد أصبح خارج الحي الراقي وعندما تفطن إلى ذلك كان قد أضاع الطريق تماما ولم يعد يعرف كيف يعود.

هام على وجهه ساعات طويلة وهو لايعرف إلى أين يمضي، واضطره العطش إلى الشرب من بركة ماء صغيرة في إحدى الطرق المحفرة، وكانت تلك أول مرة يشرب فيها ماء كريه الطعم ثم أكمل السير وقد بدأ يشعر بالتعب والجوع، كما بدأ يشعر بالخوف والندم وهو يتوغل دون أن يدري في مناطق بائسة لم تعد فيها أرصفة للمشاة ولا حدائق للنزهة ولا شوارع نظيفة ولا محلات كبيرة بواجهات لامعة ولا بشر أنيقون كالذين عاش بينهم.

ولأول مرة رأى الحاويات تفيض بالقمامة، ومياه الصرف الصحي تجري في الشوارع. شعر بالغثيان، وحاول البحث عن زاوية ما تقيه حرارة شمس الظهيرة عندما وجد نفسه فجأة محاطا بمجموعة من القطط السوداء البشعة بما فيها بيضاء اللون لأن لونها غيره الدخان والعيش في حاويات القمامة.

سبق له أن رأى قططا تشبهها، أما هذه فبدت له غريبة ومخيفة وهي مكشرة عن أنيابها وكأنها تستعد للهجوم عليه. وبالكاد تمكن من إطلاق مواء خافت وكأنه يطلب الرحمة، لكن مواءه ذهب أدراج الرياح، وتقدمت القطط نحوه وهمت بالانقضاض عليه عندما ارتفع فجأة صوت مواء مخيف أرعب الجميع فتوقف كل في مكانه كان سيد المجموعة قد وصل وهو قط مفتول العضلات بشع المنظر خسر إحدى عينيه في معركة ضارية من أجل بقايا فروج مشوي وجدته القطط الجائعة في إحدى الحاويات، كما خسر نصف ذنبه ذات ليلة شتائية في إحدى المعارك التي خاضها من أجل قطة ساخنة وانتصر فيها أيضا على غرمائه، مما أجبر الجميع على الاعتراف به زعيما بلا منازع.

تقدم الزعيم، وجعله مشهد القط الوافد من عالم مختلف وهو يرتجف من الرعب، يشعر بالعطف عليه، فأمر الجميع بالتفرق ففعلوا مكرهين، ثم اقترب من القط وسأله: ما الذي أتى بك إلى هنا. قال: لقد أضعت طريقي ولم أستطع العودة إلى البيت الذي خرجت منه تفحصه بنظرة ثاقبة وقال: اسمع أنت لا تنتمي إلى هذا المكان ويجب أن تغادره فورا وإلا مزقتك القطط إربا إربا وافترستك دون رحمة، فانج بجلدك وحاول العثور على الحي الذي جئت منه لأن بقاءك هنا يعني الموت المحتوم. أجاب: ولكني قط مثلكم حتى وإن بدت علي آثار النعمة فلماذا أعامل هكذا وأنا لم أفعل ما يسيء لكم؟ رد عليه الزعيم بحزم: أنت لست منا، فعالمك غير عالمنا، فعد له، واحمد الله أني تدخلت في الوقت المناسب لإنقاذك، ولا تكرر القول إنك منا أبدا، فلونك ليس لوننا وطعامك ليس طعامنا، وشرابك ليس شرابنا، وباختصار أنت لا تنتمي إلى نوعنا ولا شيء يجمعنا بك، وليس أمامك الآن إلا الابتعاد من هنا وإلا فسأكون أول مفترسيك.